14 me Année No. 657

Lundi —5—2—1946

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٦٥٧ « القاهرة فى يوم الإثنين غرة ربيع الأول سنة ١٣٦٥ — ٥ فبراير سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

هؤلاء الفرنسيون ...

للأستاذ سيد قطب

فى الوقت الذى تنال فيه قضية سوريا ولبنان عطفنا وعطف الجامعة العربية ، وتتمتع بالاهتمام الذى تستحقه من كل عربى ، توجد قضية أخرى لا تتمتع بهـذا الاهتمام بالدرجة الكافية ... تلك هى قضية الشمال الأفريقى — الجزائر وتونس ومراكش — الذى ترتكب فيـه الدولة الفرنسية أشنع مأساة يخجل منها المتحضرون .

والواقع أن أشنع ما ارتكبه الفرنسيون فى سوريا ولبنان ، لا يعد شيئاً بالقياس إلى ما يرتكبونه فى الشمال الإفريقى إلى هذه اللحظة . فلم تزد شناعاتهم فى سوريا ولبنان على فعلة حمقاء — جرياً على طبيعتهم فى تاريخهم الطويل — بالقبض على رئيس جمهورية لبنان ووزرائه ؛ ولم تزد على مؤامرة خسيسة دبروها لاغتيال أعضاء الوزارة السورية وأعضاء البرلمان فى أثناء اجتماعهم ؛ هذه المؤامرة التى فشلت لوقوع بيانات سرية فى أيدى الحكومة السورية قبل تنفيذ المؤامرة الخسيسة ! ثم ضرب دمشق بالقنابل مرتين فى خلال عشرين عاماً ...!

وهذه كلها بالقياس إلى ما يرتكب فى الجزائر ومراكش خاصة لا تعـــد شيئاً . وقد هزت شعورنا تلك الحوادث التى ارتكبت فى البلدين الشقيقين ، فمن حق ما يقع فى الشمال الإفريقى أن يثير نفوسنا وأن يدفعنا إلى التدخل الحاسم .

وأنا لا أتوجه بهذا الكلام إلى الجامعة العربية وحدها ، ولا إلى رجال السياسة فى البلاد العربية كذلك ؛ إنما أتوجه إلى ضمير الشعوب العربية جميعاً . فأنا على ضعف ثقتى برجال السياسـة فى هذا الجيل لا أزال شديد الثقة فى الجماهير ، وفى ضمير هذه الجماهير ؛ وهو وحده الضمان لتقوية الجامعة العربية ودعمها ، ولدفع رجال السياسة مهما اعتور نفوسهم من الضعف والتردد .

فإلى هذا الضمير الشعبى العام أتوجه بالحديث .

ولكى لا أتهم بالتحامل فإنى أعرض على قراء العربية صورة لتصرف الفرنسيين فى الجزائر ليست من صنعى ولا من صنع كاتب عربى ، إنما هى من رسم رجل فرنسى شذ فكان له ضمير ! ولعله هو أيضاً ضمير مدخول ، فهو يكشف لأبناء وطنه عن شناعة الحكم الفرنسى فى الجزائر خشية أن يؤدى بهم هذا إلى فقدان الجزائر . فليس شعوراً إنسانياً هو الذى يدفعه إلى بسط سوء الحالة فيها ، إنما هو روح استعمارى بصير ، هدأت فيه الحماقة التى هى طابع السياسة الفرنسية التقليدى فى التاريخ !

هذا الكاتب هو المسيو « جان ميليا » من كبار الدبلوماسيين الفرنسيين ، وقد ضمن ملاحظاته هذه كتاباً باللغة الفرنسية نستعرض هنا مقتطفات منه نقلها إلى العربية الأستاذ « محمد عبد الكريم » ونشرتها مجلة « الشرق الجديد » .

« ضرب المؤلف الفرنسى مثلا مما يسميه مواطنوه الفرنسيون قانوناً بالجزائر ، بذلك القانون العجيب المسمى قانون الغابات .

« فالمستعمر الفرنسي يُمنح الأرض ليستغلها ، وهو يُعطى ما يختاره بسخاء بدون مقابل . وقد حدث مرة أن احترقت غابة يستغلها فرنسي ، وحامت الشبهة في هذا حول الوطنيين ، فكان أن عمدت الحكومة إلى إصدار قانون ينص على أنه في حالة احتراق أي غابة يملكها فرنسي ، فإن العرب المقيمين في أقرب منطقة مجاورة للغابة يلزمون بدفع تعويض لمستعمر الفرنسي صاحب الغابة حسب ما يقرره حاكم المدينة .

« ويردف الكاتب الفرنسي ذلك بقوله : ومن يوم أن صدر هذا القانون أصبح شائعاً في أوساط المستعمرين الفرنسيين أن من يصاب في مشروعه بالفشل أو من يسوقه الحنين للعودة إلى بلاده فما عليه إلا أن يعمد إلى غابته يحرقها ، ويبلغ الحاكم ليشهد في اليوم التالي إبلا وغنما وحميراً وخياماً وأقوات أهل القرية المجاورة تباع كلها في السوق قسراً ، ليعطى ثمنها تعويضاً لذلك الفرنسي عن ضرر أحدثه هو بيده ! »

هذا ما قاله الكاتب الفرنسي ، أما الذي لم يقله في هذا الصدد فهو أن المساحات الشاسعة من الحقول والبساتين تنزع ملكيتها من أيدي ملاكها العرب لتعطى إلى المستعمرين الفرنسيين حيث يطرد هؤلاء الملاك إلى البقاع المحلة ، حتى إذا راحوا يفلحونها بالجهد الشديد ويصلحون تربتها بسواعدهم وكواهلهم والبقية الباقية من أموالهم إلى أن تصبح صالحة للزراعة ... عاد الفصل السابق يمثل معهم من جديد فيطردون منها لتعطى للمستعمرين من جديد !

ثم يقول المؤلف الفرنسي :

« إن حق المواطن في الجزائر يمنحه كل يهودي دون استثناء ، ولا يجوز منحه للمسلمين إلا لعدد قليل ممن يرى الحاكم الفرنسي منحه لهم : ولم ينتفع بهذا الحق حتى الآن من المسلمين أكثر من ألف وخمسمائة .

« وحرمان رجل أولى حقوقه العامة كمواطن لا لجرم سوى أنه مسلم هو أعجوبة الأعاجيب في الأوضاع الدستورية ، حتى أن « بارتلمي » أستاذ القانون الدستوري بجامعة باريس لم يستطع كتمان تعجبه ، فهو يسائل مواطنيه في مناقشته حق الانتخاب بكتابه الذي يدرس بالجامعات الفرنسية : إنا لنعجب للتفرقة بين مواطنين من بلد واحد ! كيف يمنح حق المواطن لأحدهما ولو كان من الرعاع لأنه يهودي ، ويحرمه الآخر ولو كان مؤهلا بالدكتوراه وحاملا لوسام جوقة الشرف ، لا لذنب إلا لأنه مسلم ؟! »

وينقل الكاتب الفرنسي في كتابه شهادة كاتب فرنسي آخر هو « بليسيه دي رينو » حيث يرجع رينو « عدم تحقق الألفة بين الوطني والفرنسي إلى ما يكنه ويبديه الفرنسي للجزائري من مهانة واحتقار . فالمستعمر الفرنسي بل الحكام الفرنسيون يهبطون إلى أرض الجزائر مشبعين بفكرة وعقيدة لا تتزعزع ، هي أنهم بين أعداء ، وهم لهذا لا يبدون نحو العرب أي عطف أو حسن معاملة »

وينقل كذلك شهادة كاتب فرنسي ثالث هو « جوليوفيري »

« إن المستعمر يستبد بالوطني أي استبداد ، وهو يستشعر العسف لا في أقواله فحسب ، بل في سلوكه الذي لا يرعى فيه للعرب حقاً ولا كرامة »

هذا ما قاله المؤلف الفرنسي وما نقله عن غيره . أما ما لم يقله ، فهو أن كلمة « عربي » هي من ألفاظ الشتائم والتحقير في الاصطلاح الفرنسي ، فإذا شاء أن يشتم إنساناً أو يحقره نبزه بلفظ « عربي » !

وهذه حقيقة معروفة أضعها تحت أنظار العرب لينظروا في رد هذه الإهانة عن أنفسهم باحتقار كل ما هو فرنسي — مهما اشتدت حاجتهم إليه — واحتقار كل من يخدع بفرنسا أو ينتمي إليها ، أو يرفع رأسه ليعجب بهؤلاء الذين يدعون أنفسهم متحضرين

أما الفرنسيون في مراكش فهم الفرنسيون في الجزائر — وفي كل مكان على ظهر هذه الأرض يبتلى باستعمارهم الوحشي .

بين يدي نشرة صغيرة وزعتها « رابطة الدفاع عن مراكش » في ١١ يناير الماضي ، بمناسبة « ذكرى عيد الجهاد الوطني » الذي بدأ في ١١ يناير سنة ١٩٤٤ . وقد جاء فيها بأسلوب معتدل كل الاعتدال تحت عنوان « السياسة الفرنسية في مراكش » ما يأتي :

« هناك مبدأ شعاره السيف والمحراث ، وهو مبدأ قديم ابتدع شعاره الكونت ديسلي منذ أوائل القرن التاسع عشر ؛ والسيف رمز لقهر أصحاب البلاد وإرهابهم ؛ والمحراث رمز لاستغلال كل الخيرات التي تشتمل عليها تلك البلاد ، وإذا أردنا أن نقلب العبارة من الرمزية إلى الصراحة قلنا : الإستغلال بالقوة !

« ومراكش اليوم مستغلة بالقوة بكل ما تحمل هذه العبارة من معنى . وفرنسا حجر عثرة فى سبيل رخائها وتقدمها بأكثر مما فى هذه العبارة من معنى . ومبدأ العرقلة يتمثل فى كبت الحريات ، وعدم التشجيع على التعليم ، وعدم السماح بوجود صحافة حرة أو جمعيات حرة ، وغير ذلك من الحقوق البسيطة التى تتمتع بها أحط المستعمرات فى العالم . فالمثقف غريب فى مراكش لا عمل له ولا مستقبل . بينما يتقلب الجهال فى الوظائف العليا ؛ وبذلك يساعدون على بث الانحلال فى أداة الحكومة الوطنية . وسلطة الحماية تعرقل أيضاً كل ما من شأنه أن يغير أسلوب الحياة الإجتماعى . وهى لا تسمح للصحف العربية بالدخول إلى البلاد ولا تسمح للطبقة المثقفة بإصدار الصحف لتنوير عقول الناس . وهى تعرقل قيام المؤسسات الوطنية الإقتصادية . وهكذا لا توجد وسيلة لعرقلة التقدم فى مراكش إلا تفنن هؤلاء الموظفون فى تنفيذها .

« أما سياسة السيف والمحراث أو الإستغلال بالقوة فهى تتمثل فى نزع ملكية الأرض من الأهالى وتوزيعها على المستعمرين الفرنسيين ؛ وفى تأسيس الشركات الإحتكارية التى تستحوذ على الصادرات والواردات ، وتهيمن على السوق ؛ وفى استغلال المناجم استغلالا لا تعرف عنه مراكش شيئاً ؛ وفى تسخير الأيدى العاملة بأجور زهيدة ؛ وفى إشعار رجل الشارع بأنه دون الفرنسى ؛ وفى فرض الضرائب الفادحة حتى أصبح المراكشى يدفع من الضرائب ما لا يدفعه أى شخص فى العالم ؛ وفى استغلال المياه الإقليمية والأنهار والغابات والمزارع وآبار البترول وكل الخيرات التى توجد فى هذه البلاد . وقد تمت سياسة الإستغلال هذه بشكل أصبح يهدد كيان البلاد الإقتصادى بالإفلاس »

هذا ماقالته مذكرة رابطة الدفاع عن مراكش . أما ما لم تقله — ولدىّ عنه أخبار وثيقة — فهو الوحشية البربرية المتبعة فى نفى الزعماء السياسيين وتعذيبهم واختيار أماكن اعتقالهم ، حتى أصبح معظمهم مريضاً بالسل . وهى وحشية مقصودة لتخويف الآخرين !

وليس لأحد أن يشك فى صحة هذه البيانات المراكشية ، فهناك مايؤيدها فى الجزائر بشهادة الكتاب الفرنسيين أنفسهم . فهى إذن سياسة واحدة تدل على هذه العقلية البربرية التى تعيش بها فرنسا فى القرن العشرين فى ساحات شاسعة تستحق الإهتمام .

ومما يدل على الظلم والجحود أن هؤلاء الجزائريين والمراكشيين هم الذين نصروا فرنسا فى حربين متواليتين ؛ فكل الشجاعة التى يتشدق بها الفرنسيون فى معركتين كبيرتين فى هذه الحرب والحرب الماضية — وهما معركة بئر حكيم ومعركة المارن — كان أبطالها هم الجزائريين والمراكشيين . أما الجندى الفرنسى — الذى يشيع المغرضون عنه خرافة الشجاعة — فقد تحطم وانهارت قواه وهو يدافع عن بلاده فى الحربين على السواء

معركة المارن كسبها « الفيلق الإفريقى » وكانت نقطة التحول فى الحرب العظمى . ومعركة بئر حكيم ثبت فيها الجزائريون واللبنانيون . ومعركة الصحراء الغربية كسبها جنود مستعمرة تشاد وإفريقية الإستوائية . أما الجندى الفرنسى فقد انهارت قواه أو استأسر استئسار الجبان فى كل مكان !

ثم تكون المكافأة التى يوحى بها الجحود لهؤلاء الذين نصروا فرنسا مرتين فى ربع قرن هى هذه المعاملة القاسية !

ولكن مما يعزى الشرق العربى أن فرنسا قد انتهت — على الرغم من كل تشبث لها بالبقاء — انتهت ، ومن واجب الشرق العربى أن يدق المسامير فى نعشها

وآية انتهائها هو هذا الجمود فى سياستها وعقليتها الاستعمارية ، بينما الآخرون يحاولون التجديد ، ولو فى الألفاظ والأساليب

ففرنسا قد امتحانت أمة جامدة متمسكة بكل وضع قائم تمسك الغريق . كانت هى الأمة الجامدة المحافظة فى إلغاء الامتيازات بمصر بمؤتمر مونتريه . وكان هذا موقفها مع سورية ولبنان ، فلم تبرم معهما المعاهدة التى اتفقا عليها ، وكانت النتيجة أن فقدت نفوذها كله . وبالمثل كان موقفها فى هيئة الأمم المتحدة وهى تتمسك بالاستعمار والانتداب ولا تقبل كلمة « الوصاية » كما قبلتها انجلترا الماكرة المرنة اللعوب !

هو التحجر . وهو آية الفناء . فليعمل كل عربى مخلص على الإسراع بهذه النهاية السعيدة . وليكن اهتمامنا بالشمال الأفريقى العربى ضربة حاسمة فى دق المسمار الأخير .

سيد قطب

في إرشاد الأريب
إلى معرفة الأديب
للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

— ٢٥ —

ج ٢ ص ١٩٢ : جواب الخوارزمي (عن رسالة الهمذاني) : شريعة ودي لسيدي إذا وردها صافية ، وثياب برى إذا قبلها ضافية ، هذا مالم يُكدّر الشريعة بتمنته وتعصبه . ولم تحترق الثياب بتجنيه وتسحبه[١] ، فأما الإنصاف في الإخاء فهو ضالتي عند الأصدقاء ، ولا أقول :

وإني لمشتاق إلى ظل صاحب ... برق ويصفو إن كدرت عليه

فان قائل هذا البيت قاله والزمان زمان ، والإخوان إخوان ، وحسن العشرة سلطان . ولكني أقول : وإني لمشتاق إلى ظل

رجل يوازنك المودة جاهداً ... يعطي ويأخذ منك بالميزان
فاذا رأى رجحان حبة خردل ... مالت مودته مع الرجحان

وقد كان الناس يقترحون الفضل فأصبحنا نقترح العدل ، وإلى الله المشتكى لا منه .

قلت : أغلب الظن أن الأصل (مالم تكدر الشريعة ... ولم تخرّق الثياب) بالخاء لا بالحاء . وعجز البيت الأول هو : (يروق ويصفو إن كدرت عليه) والبيت الأول لأبي العتاهية ، وقبله :

عذيري من الانسان لا إن جفوته
صفالي ولا إن صرت طوع يديه

والبيتان صوت ، في الأغاني في خبر :

« قال علّويه[٢] : فدخلت إلى المأمون فأقبلت أرقص من أقصى الديوان ، وأغنى بالصوت (بالبيتين) فسمع المأمون والمنون مالم يعرفوه فاستظرفوه ، وقال المأمون . ادن يا علويه ، ورده[١] ، فرددته عليه سبع مرات ، فقال لي في آخرها عند قولي (يروق الخ) يا علويه : خذ الخلافة ، وأعطني هذا الصاحب » .

وجواب الخوارزمي عن رسالة الهمذاني (وما أوردته هو قسم منه) لم أجده في رسائل أبي بكر المطبوعة في قسطنطينية سنة ١٢٩٧ كالم أجد رسالة أخرى للخوارزمي رواها ياقوت[٢] وذكرها الهمذاني في حديث المناظرة المشهورة . وهذه الرسالة جواب عن رسالة للهمذاني[٣] . ولا ريب في أن الرسالتين هما للخوارزمي . وفقدهما في تلك الطبعة دليل على خلوها من غيرهما .

يقول الإمام الثعالبي في اليتيمة : أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي باقعة الدهر ، وعلم النثر والنظم ، وعالم الفضل والظرف ، وكان يجمع بين الفصاحة العجيبة والبلاغة المفيدة ، ويحاضر بأخبار العرب وأيامها ودواوينها ، ويدرس كتب اللغة والأدب والنحو والشعر ، ويتكلم بكل نادرة ، ويبلغ في محاسن الأدب كل مبلغ ، ويغلب على كل محسن بحسن مشاهدته ، وملاحة عبارته ، وديوان رسائله مخلد سائر ، وكذلك ديوان شعره .

وفي (وفيات الأعيان) أبو بكر أحد الشعراء المجيدين الكبار المشاهير[٤] كان إماماً في اللغة والأنساب ، وله ديوان رسائل وديوان شعر ، وكان يشار إليه في عصره ، وهو ابن أخت محمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ ، مات سنة (٣٨٣) .

وجاء في (بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة[٥]) قال الحاكم : كان واحد عصره في حفظ اللغة والشعر .

ذلكم أبو بكر الخوارزمي ، وتلكم منزلته ، فلن تخدع أحداً براعة (البديع) وشيطنته وشعبذته في رسالته[٦] ذات الأفانين

(١) قلت : تسحبه : تدله في اللسان : تسحب عليه أي أدل ، فلان يتسحب علينا أي يتدلل وكذلك يتدكل ويتسدعب . في الصحاح : تدكل الرجل أي تدلل ، والدكلة ألقوم الذين لا يجيبون السلطان من عزهم ، يقال : هم يتدكلون على السلطان أي يتدللون .

(٢) علويه : بالياء .

(١) الفصل : حركوا نحو رد ولم يرد بالحركات الثلاث ولزموا الضم عند ضمير الغائب ، والفتح عند ضمير الغائبة .

(٢) ج ٢ ص ١٨٨ و (رسائل بديع الزمان) شرح العلامة الشيخ إبراهيم الأحدب ص ٣٣ .

(٣) ارشاد الأريب ج ٢ ص ١٨٦ و (رسائل بديع الزمان) ص ٣١

(٤) هذا الجمع في كلام الأدباء واللغويين ، في مقدمة المخصص : « أعيان رواتهم ومشاهير ثقاتهم » ج ١ ص ٩ .

(٥) يستدل من قول رواه السيوطي في هذا الكتاب أن ياقوتاً ذكر الخوارزمي في كتابه في أخبار الشعراء

(٦) هي أجل رسائل الهمذاني وأعظمها .

فى تلك المناظرة . ومن يصدق أن الخوارزمى لا يعرف « أن للشاعر أن يرد ما لاينصرف إلى الصرف كما أن له رأيه فى القصر والحذف » ويجهل أن معنى « كند النعمة كفرها » ويقول : « ذئب غاض ... يأكل الغضا » وينظم « تسعة أبيات جمع فيها بين إقواء وإكفاء وإخطاء وإبطاء » فيقول البديع « لمن حضر من وزير ورئيس وفقيه وأديب : أرأيتم لوأن رجلا حلف بالطلاق الثلاث لا أنشد شعراً قط[1] ثم أنشد هذه الأبيات فقط ، هل كنتم تطلقون امرأته ؟ فقالت الجماعة : لا يقع بهذا طلاق ... » .

من يصدق هـذا الشيطان (بديع الزمان) فى الذى نمقه وزوقه ، وقد سمعنا قصته ، وغابت عنا مقالة خصمه وإن أيقنا بأن بداهة الفتى أعجزت روية الشيخ . ورسائل الخوارزمى تحقق قول الثعالبى وغيره فيه ، وتخبر بأن منشيها يفوق الهمذانى علماً وسعة اطلاع . وكلام أحمد بن الحسين الهمذانى ألطف وأرشق ، وكلام الخوارزمى أرصن وأدق ، وهو مسجع وكأنه مرسل .

ولأبى بكر رسالتان عجيبتان كتب الأولى إلى جماعة الشيعة بنيسابور ، وكتب الثانية إلى أبى الحسن البديهى الشاعر . وقد اشتملت كلتاهما على إشارات وأسماء كثيرة تدهشان القارئ ، وتطيلان تعجبه من تلك الإحاطة . وتشاكل الأولى فى الاستقصاء رسالة أبى العـلاء فى تعزية خاله ابن سبيكة بأخيه[2] . وتشبه الثانية رسالة ابن زيدون إلى ابن عبدوس الملقب بالفار ؛ وهذه مشهورة ، شرحها ابن نباتة المصرى . والظن بل اليقين أن ابن زيدون قد وقف على رسالة الخوارزمى وقلدها واقتبس منها .

ورسالة الأول أطول وأكثر تشعباً ، ورسالة الثانى أقصر ، والقصد فى الرسالتين واحد ، وهو التقريع والتهكم . وهذه الإغارة — وسمها معارضة — لاتنقص شيئاً من مقدار ابن زيدون الشاعر الساحر والناثر القادر ، و « الذى رزق السعادة فى سعة العبارة » كما قال صاحب (الغيث الذى انسجم فى شرح لامية العجم)[3]

(١) فى درة الغواص والقاموس ومغنى اللبيب تخطئة مثل هذا . وفى شرح الدرة للخفاجى : قد ورد ما يخالفه في كلام الناس وفى كلام الزمخشرى فى تفسير قوله تعالي (فنهم مقتصد) إن ذلك الاخلاص الحادث عند الخوف لا يبقى لأحد قط ، فاعمل فيه لا يبقى وهو مضارع .

(٢) رسائل أبى العلاء صـ ١٠٧ .

(٣) جـ ١ صـ ١٧٨ . وهذا هو الاسم الصحيح للكتاب لا (الغيث المسجم) كما جاء فى الطبعة . وقد هدانى إلى التسمية الصحيحة العلامة الأستاذ صاحب (الرسالة ، الغراء .

أوردُ من رسالة أبى بكر إلى جماعة الشيعة بنيسابور هـذه القطعة نموذجا ، وهى العقيدة ، وهى الخصومة ، وهو الخوارزمى الداهية يلغو (يتكلم) كما يهوى :

« ... وقل فى بنى العباس فانك ستجد بحمد الله تعالى مقالا ، وجل فى عجائبهم فانك ترى ما شئت مجالا . يجبى فيؤهم فيفرق على الديلمى والتركى ، ويحمل إلى المغربى والفرغانى ، ويموت إمام من أئمة الهدى وسيد من سادات بيت المصطفى فلا تتبع جنازته ، ولا تجصص مقبرته . ويموت (...) لهم أو لاعب ، أو مسخرة أو ضارب ، فتحضر جنازته العدول والقضاة ، ويعمر مسجد التعزية عنه القواد والولاة ، ويسلم فيهم من يعرفونه دهرياً أو سوفسطائياً ، ولايتعرضون لمن يدرس كتاباً فلسفياً أو مانوياً ، ويقتلون من عرفوه شيعياً ، ويسفكون دم من سمى ابنه عليا » .

ثم يعلق الخوارزمى يقول ... ويجول ...

أخبرنى العلامة الأستاذ أمير البيان الأمير شكيب أرسلان أنه كان ينوى شرح هذه الرسالة . وقد ثناه عما نواه أن الشرح يشيع ناراً أشعلتها المذاهب والمقالات ، وبزيد « الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً » تفريقاً[1] ، ويظلم كبارا لم يكونوا ظالمين ، وكانوا خير مظاهرين لشائد هذا المجد . والأمير شكيب يستظهر رسائل الخوارزمى كلها ، ذكر ذلك فى إحدى مقالاته فى جريدة (المؤيد) يوم سأله أحد الأدباء كيف وصل فى الكتابة والأدب إلى هذه المرتبة العليا .

وهذه نتف من رسالة الخوارزمى إلى البديهى :

« ... كأنك لم تخلق إلا لتطمس عين النور ، وتقلب أعيان الأمور ، وتعكس البدعة سنة حتى كأن سوفسطا[2] استخلفك على جحد ما يدرك عياناً ، ويعرف إيقانا .

« ... ولو ذوكرت فى القائم[3] ادعيت أنه مضى ... ولو

(١) إنى أعم ولا أخص

(٢) حسب الخوارزمى تلك المقالة أو الطريقة الأغريقية شخصا .

(٣) يعنى المهدى عند إخواننا الامامية الاثنى عشرية ، وهو الآن فى الغيبة الكبرى . فى كتاب الغيبة للامام الطوسي صـ ١٢٠ : .. عن الحسن بن الزياد قال سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام يقول : إن القائم لا يقوم حتى ينادى مناد من السماء تسمعه الفتاة فى خدرها ويسمعه أهل المشرق والمغرب وفيه نزلت هذه الآية : إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين .

ذكر أبو جهل حكمت له بالاسلام ، ولو مررت بإيوان كسرى استقللت بنيانه ، ولو رأيت إرم ذات العماد استصغرت شأنه ، ولو خوطبت فى التراويح أخذت بابتداعها الشيعة، ولوعد الاجبار والتشبيه ألزمت ديهما المعتزلة ، ولو حلم الأحنف بن قيس استخففت عقله ، واستعظمت جهله ، ولو تعجب الناس من بناء الهرمين أخذت تذكر انتقاصه ووهنه ... ولو فضل التوحيد أفردت به النصارى ... »

« لقد أعجبت بنفسك الخسيسة التى لا تستحق العجب حتى كأن كسرى أنو شروان حامل غاشيتك ، وكأن قارون وكيل نفقتك ، وكأن بلقيس ذات العرش العظيم دايتك ، وكأن مريم البتول أمتك ، وحتى كأن العود وجميع الملاهى وضعت اطربك ، وحتى كأن المريخ يستق من صولتك ومضائك ، وعطارد يستمد من لطفك وذكائك ، وحتى كأن زرقاء اليمامة لم تنظر إلا بمقلتك ، وكأن لقمان لم ينطق بغير حكمتك ، وكأنك بنيت منارة الإسكندرية من آجر دارك ، وكأنك علمت زيادا السياسة ، وأفدت عبدالحميد الكتابة ، ولقنت يحيى بن خالد الفصاحة ، وألقيت على الحسن البصرى المحبة ، وعلى الحجاج بن يوسف الثقفى الهيبة ، وحتى كأنك زرعت غوطة دمشق ، وشققت أنهار البصرة ، وهندست كنيسة الرها[1] ، ووضعت قنطرة سنجة[2] ... وحتى كأن فضائل أمير المؤمنين على (عليه السلام) من فضائلك مسترقة . وحتى كأن خالد بن الوليد قاتل تحت رايتك ، وقتيبة بن مسلم فتح البلاد ببركة دعوتك ، وحتى كأنك وضعت التنويم لآدم بن يحيى ، وحللت الزيج[3] الأول ، وعدلت الطبائع الأربع ، وحتى كأنك كشفت لبطليموس الفلك حتى نظر إليه ، ومثلت لجالينوس تركيب الجسد حتى وقف عليه ، وحتى كأنك أورثت بنى أسد العيافة وبنى مدلج القيافة ، وعلمت شقا وسطيحا[4] الكهانة ، وحتى كأنك علمت حاتم بن عبد الله السخاء ، والسموءل بن عاديا الوفاء ، وقيس بن زهير المكر والدهاء ، وإياس بن معاوية الفطنة والذكاء ، وأخذ عنك سيف بن ذى يزن أخذ الثار ، والإدراك بالأوتار ، وحتى كأنك لا أحد أعلم منك فأضرب به مثلا ، ولا أعلى منك فأجعله غاية وأمدا ، ومن شبهك به فقد رد الوصف إليك ، ووفره عليك ، والفرد لا يشبه بغيره ، والراجح لا يوصف بمن تقاصر عن رجحان قدره ... » .

« قد اتفق الناس على ضياع النسخة الأولى من كتاب العين فأمله علينا ، وأجمعوا على ذهاب قراءة أبى بن كعب وعبد الله بن مسعود فأخرجهما إلينا ، وتخالف الناس فى المهدى وشكوا فى السفيانى وفى الأصفر القحطانى[1] فعرفنا متى يخرجون ؟ فانى أعلم أنهم إليك يختلفون، وفى أمرك ونهيك مترددون ، وبعشورتك يغيبون ويحضرون . وآل أبى طالب قد علمت أنهم مسلوبون حقهم ، ومغصوبون إرثهم ، فتقدم إلى غلامك الدهر بأن يرفع رايتهم ، ويرد إليهم ولايتهم ... »

« ... إنى — وفقدك — فلا شىء أعز على منه ولا أحسن منه ما سمعت قول على بن جبلة فى أبى دلف :

إنما الدنيا أبو دلف ... بين باديه ومحتضره
فإذا ولى أبو دلف ... ولت الدنيا على أثره

إلا غضبت عنك عليه ، واعتقدت أنه سرق صنعتك ، وأعار أبا دلف مدحتك ، ولا سمعت قول ليلى :

فتى كان أحيا من فتاة حيية ... وأشجع من ليث بخفان خادر

إلا قلت : فكيف لو رأت ليلى أخانا فتعلم دعواها من دعوانا ؟ أنت (رحمك الله تعالى) من أيدى هؤلاء الشعراء الكذابين مرحوم ، وفيما بينهم مظلوم ؛ سلبوك علاك وهى حلاك ، ونحلوها قوما سواك ، والمدح الكاذب ذم ، والبناء على غير أساس هدم ... »

أجتزئ بهذه النتف القصيرة القليلة من تلك الرسالة المتبجحة المتفننة الطويلة .

وللخوارزمى شعر كثير جيد ، منه هذه المقطوعة فى نقد الألقاب فى زمانه :

مالى رأيت بنى العباس قدفتحوا ... من الكنى ومن الألقاب أبوابا
ولقبوا رجلا لو عاش أولهم ... ما كان يرضى به (للدار) بوابا
قل الدراهم فى كفى خليفتنا ... هذا فأنفق فى الأقوام ألقابا

وأختم الحديث عن أبى بكر بهذا الخبر الدال على فرط كلفه بالعلم : « قيل لأبى بكر الخوارزمى عند موته : ما تشتهى ؟ قال : النظر فى حواشى الكتب ... ! »

---

(١) معجم البلدان : الرهاء بضم أوله والمد والقصر ، مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام بينهما ستة فراسخ .

(٢) معجم البلدان : سنجة : نهر عظيم . وعلى هذا النهر قنطرة عظيمة هى إحدى عجائب الدنيا وهي طاق واحد من الشط إلى الشط .

(٣) التاج : فى مفاتيح العلوم . الزيج كتاب يحسب فيه سير الكواكب وتستخرج التقويمات أعنى حساب الكواكب سنة سنة وهو بالفارسية زه أى الوتر ثم عرب فقيل زيج وجمعوه على زيجة كقردة .

(٤) فى مقالتى (شق وسطيح والقرآن وابن خلدون والربانيون) فى الرسالة ٢٤٩ السنة ٦ — أثبت أن هذين لم يكونا قط ، وأن قصتهما حديث خرافة .

(١) ذكرت هؤلاء الثلاثة فى مقالتى : (المهديون المنتظرون) ، فى الرسالة ١٩٢ السنة (٥) وفى كتابى : (الاسلام الصحيح) قلت ما قلته فى المهدى والمهدوية .

وأين صالحية مصر؟

للأستاذ أحمد رمزى

كتب الأستاذ على الطنطاوى مقالا فى عدد الرسالة الماضى تحت عنوان من « ذكريات بغداد » ، أشار فيه إلى صالحيتين فقال « بروحى صالحية دمشق وصالحية بغداد » ، ونسى صالحية مصر ، فسامحه الله — لذا جئت أذكره بها .

أما موقعها فعلى نهاية الخط الحديدى المعروف بها ، وكانت تربطها بالقنطرة سكة حديدية ، أقيمت أيام الحرب الماضية ، ثم نزعت قضبانها الحكومة المصرية لسبب لا يعلمه إلا الله ، وبقيت المحطات بين الصالحية والقنطرة أنقاضاً ، تذكّر الناس بحملة فلسطين وأنفار السلطة ، وكانت القطارات تمر على الخط بعد منتصف الليل ، ولا يزال صدى صوت المجنّدين للسلطة وأغانيهم البريئة يرن فى أذنى ، حينما كنا صغاراً فيقطع نومنا الهادىء صفير القطارات العسكرية تحمل العتاد والرجال للجبهة فى شرق القنال .

وصالحية مصر ، فيها جمال الواحة وجمال الريف ، ولقد دخلتها وقت طلوع الفجر ، فأخذتنى روعة الصحراء ، ورأيت الرمال ممتدة الى نهاية النظر ، تلك الرمال التى قال عنها القرشى : الجفار والغرابى والهبير ، وهى الواقعة وراء جبال طى إلى أرض مصر ، أما نخيلها فيبدو كغابة من غابات اقليم الشرقية ، التى ينفرد بها اقليم الحوف كما كان يطلق عليه قديماً ، إذا أتيت إليها من الغرب مشرّقاً ، شممت لأرض الحوف نسيماً أرق من نسيم الدلتا ، لأنه يحمل أريج الصحراء ، وإذا نظرت إلى نخيل الصالحية عند الشروق أوفى ليالى القمر ، شهدت منظراً لا تشبع العين منه ، وتحس فى صالحية مصر بالنشاط الذى يملأ النفس والجسد ، ويجعلك تفكر فى آفاق بعيدة فيما وراء النظر ، فيما وراء هذه الرمال ، حيث مشرق الشمس ومطلع سراج الدنيا . والصالحية من بناء سلطان عظيم ، هو الملك الصالح نجم الدين أيوب ، طيب الله ثراه ، أنشأها سنة ٦٤٤ هجرية ، على طريق القوافل بين مصر ودمشق ، لتكون منزلة لعساكر الاسلام ، إذا خرجوا من مصر للجهاد فى الأراضى المقدسة ، أو عادوا من الحرب إلى مصر ، وبنى بها قصراً وجامعاً وسوقا ، وكان ينزل بها ويقيم فيها ، ودخلها من بعده الكثير من ملوك مصر وأمرائها فى ذهابهم للفتوح وعودتهم منها ، ولذا تألق اسم الصالحية فى تاريخ مصر العربى ، وعرف صعيدها الكثير من العز والمجد ، وورد ذكرها فى مختلف التواريخ والسير .

وأهلها من صميم العرب ، لهم فى التاريخ المواقف الخالدة ، وكانت الرياسة فيهم ولا تزال إلى اليوم فى آل الحوت ، وهم فرع من بنى سليم[1] ، جاءوا مع السيد عزّاز صاحب الجزيرة البيضاء ، وكانت هذه النواحى وما حولها من قديم الزمن وقبل بناء الصالحية منازل لجماعات من القيسية واليمنية ، وكان كبيرهم ربيعة بن قيس ، ورد ذكره إبان حوادث المأمون وأخيه الأمين ، فهو الذى تمسك ببيعة الأمين الخليفة العباسى ، وكانت مصر قد خطبت باسم المأمون وله عامل بالفسطاط ، فبعث برجل اسمه الجروى ، الذى سار فى جماعة من لخم وجذام إلى بلدة فاقوس ، فنزل مع قومه بها وكانت له مع قبائل البلاد وقائع وحروب .

وكانت هذه المناطق موطناً للعرب ، من بنى عمرو وبنى حرام وبنى عقبة وبنى زهير وبنى واصل والبقرية ، وهم الذين تفرقوا فى النواحى وعمروا القرى والبلاد ببطونهم وأفخاذهم .

ولما تم بناؤها أصبحت الصالحية من أهم منازل الدرب السلطانى الذى كان يربط قلعة مصر القاهرة بقلمة دمشق ، طوال الأزمان الماضية ، وقد وصفه القريزى فقال انه كان عامراً إلى سنة ٨٠٦ هجرية ، وكان لا يخلو من المسافرين لانه ممر البريد السلطانى بين العاصمتين . ولما جاء الفرنسيون رسموه على خرائطهم ووضعوا عليها أماكن الآبار ، وساروا فيه بجنودهم الى الشام وفى عودتهم إلى مصر .

ولقد قطعت الطريق بين مصر وفلسطين فى ذهابى إلى سوريا وعودتى منها مراراً عديدة ، وكنت أقطع القنال أحياناً من السويس وأحياناً من الاسماعيلية مخترقا سينا ، وكنت كلما لاح لى نخل القرين وأنا على مفترق الطريق قبل بلدة التل الكبير ، أذكر الدرب السلطانى القديم ، الذى كان يتجه من العباسة إلى بلدة القرين

(١) خطط على مبارك باشا .

ثم إلى الصالحية ، وأحدث نفسي بالآمال فأقول « متى يعبّد للسيارات فتسير عليه » ، ومتى تهتم السلطات المختصة بالنواحي التاريخية ؟ أليس في كل مرحلة منه ذكريات ، وفي كل محطة بريد أثر أو بقايا أثر ، يحدثنا عن ماضينا المجيد الذي يحاول البعض أن تنساه مصر ، وما كان لمصر أن تنساه .

وهذا الدرب السلطاني يعرفه ابن بطوطة الرحالة المشهور فقد سار فيه وتحدث عن منازله ، ووصفها بقوله « ولكل منزل منها فندق ينزل فيه المسافرون بدوابهم ، وبخارجه ساقية للسبيل وحانوت للشراء » وذكر الصالحية عند نزوله بها .

أما الشيخ عبد الغني النابلسي فكان أوسع وصفاً منه حينما تناول الصالحية بكلامه ، فقال « وفي داخل القرية جامع السلطان قايتباي وعمارته متينة ، له إيوان عريض فيه المنبر والمحراب وله منارة عظيمة . . . وأهل الصالحية حارتان متميزتان في الألفاظ والمعاني فمنهم القيسي الأحمر واليمني الأبيض »

ولو شئت دليلا على قيام القيسية واليمنية بقرى مصر، فاذهب اليوم إلى بلدة الساعنة من قرى فاقوس ، تجد فتياتها لا يتخذن غير اللون الأبيض لخمارهن ، واذا جئت لجزيرة سعود وجدت نساءها يلبسن الخزام الأحمر ، ولا تعرف واحدة منهن شيئاً عن النزاع القديم الطويل الأمد بين اللونين ، والذي يمكن تتبعه من خراسان الى ماوراء النهر في أواسط آسيا والعودة به الى أيام الجاهلية ، والتحدث عنه في الجزيرة الخضراء أي بأرض الأندلس .

ونعود إلى الصالحية فنقول إن موقعها على طرف الأراضي الزراعية وعلى حافة الصحراء ، قد جعل منها مركزاً هاماً لتجمع وحشد الجيوش الإسلامية في القرون الوسطى ، حتى بعد انتهاء الحروب الصليبية ، فورد اسمها كثيراً في حملات ملوك مصر ضد هولاكو وأبنائه وأحفاده ، وكانت لها شهرة تاريخية بتوالي هذه الحروب ، وتتابع الأحداث التاريخية والمواقف الرائعة التي حدثت بها .

ففي سنة ٦٥٦ هجرية دخل هولاكو بغداد مقتحما الجزء الغربي من بلاد المسلمين فقضى على خلافتهم ، وكان جده قد سبقه عام ٦١٨ فدمّر الأجزاء الشرقية من أرض الإسلام في بخارى وسمرقند والري ، فأراد أن يتم عمله بتدمير مصر والشام ، ولذا زحف على حلب واستولى عليها ، وبعث برسالة إلى سلطان مصر الملك المظفر ، يهدد ويتوعد ، وسار إلى دمشق ففتحها ، وكان المظفر من أبطال المسلمين ، فلم يرهبه التهديد ولا الوعيد ، وكانت جيوش هولاكو لا تقهر ولم يسبق لقوة في العالم أن هزمتها أو صمدت أمامها ، فاكتسحت بقية الشام ووصلت طلائعها إلى غزة فقام المظفر يدعو إلى الجهاد ، واتخذ الصالحية مركزا تجتمع فيه الجيوش المصرية ، وكان الناس في قلق وخوف ووجل ، حتى هاجر الكثيرون إلى بلاد اليمن وبرقة والنوبة ، ولما تكامل حشد الجنود في معسكر الصالحية ؛ طلب السلطان الأمراء وتحادث معهم بشأن الرحيل لقتال هولاكو وجنوده ، وكان الرأي الغالب أن جيش التتار لا يقاوم ولا يدفع ، فلم ينطق أحدهم بكلمة واحدة بل امتنعوا عن الكلام فاحتد السلطان وقال لهم « يا أمراء ، لكم زمن تأكلون أموال بيت المال وأنتم للجهاد كارهون ، وأنا متوجه فمن اختار الجهاد يصحبني ، ومن لم يختر ذلك يرجع لبيته ، فإن الله مطلع عليه ، وخطيئة حريم المسلمين في رقاب المتأخرين» ولما جاء الليل ركب المظفر وقال «أنا ألقى التتار بنفسي» . فقويت العزائم وسار الأمراء معه وتحرك الجيش إلى الشام ، والتقى الجمعان في يوم الجمعة ١٥ رمضان سنة ٦٥٨ هجرية بأرض فلسطين ، في بلدة عين جالوت وهي المعركة التي صرخ فيها السلطان ثلاثاً « وا إسلاماه » فمن الله بالنصر المبين عليه ، فخلصت الشام ونجت مصر .

كان هذا الجمع في النصف الأخير من شعبان سنة ٦٥٨ بالصالحية ، وكنت كلما قرأت عنه في المراجع ؛ أحدث نفسي ؛ متى أرى نصباً تذكارياً على ربوة عالية ، في ميدان متسع ، يذكر الناس ويوحي إلى الأجيال القادمة ، بهذه الوقفة الرائعة به وهذه كلمة واحدة قد غيرت تاريخ الشرق ولو صدر مثلها من ملك من ملوك أمة من بعض الأمم لنقشوها على الأحجار ولقنوها للاحداث والنشء عندهم ، وليس هناك أحق من الصالحية في نظري بمثل هذا الأثر ، الذي يعلم الناس ما يجهلون من آيات تاريخهم ، لأن على أرضها قيلت هذه الكلمة الفاصلة .

ويطول بنا الكلام إذا تحدثنا عن كل ملك نزل بها وأقام فيها ، ولكني أكتفي بمناسبة سارة . في يوم الإثنين ٢٠ المحرم

سنة ٧٠١ عاد الناصر محمد بن قلاوون من الصيد بالبرّية إلى معسكره بالصالحية ، وكانت هناك بعثة من قازان ملك التتار من سلالة هولاكو ، فخلع السلطان على الأمراء واستعرض الجيوش ، فدهش السفراء من زى عساكر مصر واستعدادهم ، وقال المقريزى « إن الرسل أدخلوا إلى الدهليز السلطانى بالصالحية بين يدى السلطان ، وقد أوقدت الشموع والفوانيس والمشاعل وغيرها ، حتى أن البرّية أصبحت حمراء تلتهب نوراً وناراً ، فخلع عليهم وأعطى كل واحد منهم عشرة آلاف درهم » وانصرفوا بكتاب من الملك الناصر .

ومثل هذا كثير لو تناولناه بالجمع فى تاريخ الصالحية لأخرجنا كتاباً عنها ، ولكنها نظرات عابرة فى حياة بلدة أعزها ولها مكانة فى نفسى ، أكتبها لعلمى بأن البلدان والرسوم والاطلال مثلها كمثل الرجال تتكلم أحياناً ، وتوحى عن ماضيها ولا سيما إذا حفل هذا الماضى بعظائم الأمور .

ونزلها آخر ملوك مصر المستقلة ، السلطان الغورى فى يوم الثلاثاء ٢٥ ربيع الآخر سنة ٩٢٢ هجرية ، ولما أراد الرحيل أذن لخليفة الإسلام وللقضاة الأربعة أن يتقدموه إلى غزة . وكانت رحلة بعيدة عن السعد ، اختتمت بها مصر حياتها الحرة ، فانتهى عهد وبدأ بها عهد ، وجاء ذكر الصالحية فى تاريخها كنغمة غير مسموعة ، وسط قطعة موسيقية مملوءة بنغمات أقوى ، ولكنها كانت للأسف نغمات الحزن والأسى والدموع ...

هذه صالحية مصر ، أشير إليها كى يذكرها الناس فى وقت نسى الناس فيه كل شىء ، وتقرر الحكومة المصرية فيه إنشاء مركز جديد ، يقتطع من أراضى مركز فاقوس ، فتقلب جميع الأوضاع ، وتدرس مختلف الأسماء ، وشتى القرى والبلاد ، وتنسى الصالحية ، كما نسيها الأستاذ الطنطاوى سامحه الله — وأجتهد أن أذكّر الناس بها ، وأحاول ذلك المرة بعد المرة ، فلا يسمع لى أحد ، ولكن الصالحية هى من بناء ملك عظيم ، وكانت من منازل عظماء الملوك ، ومنها خرجت جيوش الإسلام وعادت إليها منصورة . فكم منا من يعرف ذلك ويذكره ! وكم من أهلها يعرف أن هذا الثرى الذى يمشون عليه ، حمل أعلام العز والمجد والقوة والعمل فى سبيل الله ؟ لن يضيرها أن تتجاهلها وزارة الداخلية ولكن يضيرها أن ينساها الناس ولا سيما أهلوها .

أحمد رمزى
القنصل العام السابق لمصر بسوريا ولبنان

من أخلاقنا :

الأمـــانة ...!

للأستاذ على الطنطاوى

جعل النبى صلى الله عليه وسلم للمنافق آية يعرف بها بين الناس، ومن آياته أنه إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان. وهذه الثلاث أركان الحياة الخلقية الاجتماعية، وتضافرت الآثار على ذم الكذب وأهله، ومدح الصدق وأهله، وبيان خطر الأمانة وأنها عرضت على السموات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنها وأشفقن منها، وهن كن أقوى عليها، وحملها على ضعفه الإنسان... وإن المسلم ربما ألمّ ببعض الذنوب ولكنه لا يكذب أبداً، كما جاء فى الحديث.

ثم إنك مع ذلك كله تجد المنتسبين إلى الإسلام اليوم، من أرباب الصناعات وأهل السوق، أكذب لهجة، وأخلف وعداً، وأضيع لأمانة من كثير ممن ليسوا مسلمين، حتى صار المثل يضرب بالوعد الشرقى فى خلفه وإضاعته والتأخر عنه، وصار من يريد أن يؤكد وعداً يصفه بأنه (وعد أوروبى)!

اللهم إن هذا لمن العجب العجاب!!

***

إن الله بيّن خطر الأمانة، وأنزلها هذه المنزلة، وخوّف من حملها لأنها جماع الأخلاق، وسلكة عقد الفضائل، وعمادها، لما من شعبة من شعب الأخلاق والخير الإجتماعى الا اليها مردّها، وماخصلة من خصال الشر إلا والخيانة أساسها وحقيقتها، وليست الأمانة هى أن تحفظ الوديعة حتى تؤديها إلى أصحابها (فقط)، فان هذه صورة من صورها، وشكل من أشكالها، وإن السلطان فى يد الموظف أمانة، فان وضعه فى غير موضعه، أو اتخذه وسيلة إلى جلب منفعة له أو لأسرته أو لأصحابه فقد خان أمانته، والدرجات أمانة فى يد الأستاذ المتحن يوم الإمتحان، فان أعطى منها واحدة لغير مستحقها أو منع واحدة من يستحقها أو راعى فى منحها شفاعة أو صداقة أو بغضاً أو موجدة فقد خان أمانته، والقدرة على الحكم أمانة فى يد القاضى فان زاغ عن الحق شعرة فقد خان، والعمل أمانة فى يد الأجير المستصنع، فان قصر فى تجويده أو أفسد فيه شيئاً ولو كان الفساد خفياً لا يظهر فقد خان، واعتقاد الناس بك الصلاح والتقى أمانة فى يدك، فان اتخذت هذا الاعتقاد سبباً إلى جمع المال، وعملت من لحيتك العريضة وعمامتك المنيفة شبكة لاصطياد الدنيا، أو كتمت الحق ابتغاء الحظوة عند العامة أو الزلفى إلى الحاكم فهى خيانة، إلى غير ذلك من الصور والأشكال.

بل إنك إذا دققت وتلطفت وجدت هذه الجوارح التى أعطاكها الله أمانة فى يدك، فإذا نظرت بعينك إلى حرام أو حركت به لسانك أو خطوت اليه برجلك، أو مددت اليه يدك، فقد خنت أمانتك. بل إن عمرك كله أمانة لديك، فلا تنفق ساعة منه إلا فيما يرضى (صاحب الأمانة)!

فأين المسلمون اليوم من هذا؟

لقد رأيت من قلة الأمانة، عند الصناع والتجار والعلماء والجهلاء، ومن يظنّ به المغفلون الولاية ويرونه قطب الوقت (١) ما لا ينتهى حديثه ولا العجب منه، وما خوفنى الناس أن أعاملهم، حتى جعلنى أحمل هما كالجبل ثقلا كلما عرضت لى حاجة لا بد فيها من معاملة الناس، ولا والله لا أتألم من اللص يتسور علىّ الجدار ويسرق الدار، كما أتألم من الرجل يظهر لى المودة ويعلن التقى، فاذا كانت بينى وبينه معاملة، وتمكن منى أكلنى بغير ملح... وتعرق عظامى!

تذهب إلى الخياط الحاذق الذى ألفته وألفك واستمرت على معاملته عمرك، والخياط من شرور المدنية لا يستغنى اليوم عنه، وقد انقضى زمان كان الرجل فيه يخيط لنفسه أو يخيط له أهله. وكان الثوب يتخذ فيه لمجرد الستر والدفء، ولم يبق لك منجى من أن تؤم الخياط تحمل اليه (الجوخ) الثمين، وتسأله أن يضرب موعداً لا يخلفه ينجز لك فيه ثوبك الذى تريده للعيد أو للزفاف أو للسفر. ولكل واحد من أولئك وقت لا يتقدم عنه ولا يتأخر، فالعيد لا ينسأ لك فى أيامه، والزفاف ان أعلنته لا يؤجل، فيمدك

(١) حكاية القطب والأوتاد لا أصل لها فى نقل ولا عقل، ولم يرو فى ذلك إلا حديث ضعيف فى (الابدال) لا يثبت بمثله حكم، فليفهم ذلك

ويؤكد الوعد ، فاذا جئت فى اليوم الموعود وجدته لم يمس بعد قماشك ، فاذا زجرته أو أنبته أخذك باللين وراغ منك وحلف لك مائة يمين غموس ... إنه نسى أو مرض ، أو إنه لم يعدك فى هذا اليوم ولكن كان (سوء تفاهم) ، وإنك راجع فى يوم كذا فواجد ثوبك معداً ، وتعود ويعود إلى كذبه ، حتى يمضى العيد أو الزفاف ، ولا يبقى للثوب فائدة ، وربما جعله قصيراً أو ضيقاً أو معتلا أو مضاعفاً أو مجوفاً ... أو على خلاف ما استصنعته عليه ولا حيلة لك فيه ، ولا سبيل إلى إصلاح مافسد ، فتلبسه مكرهاً أوتلقيه فى دارك حتى تأكله (العثة) والأرضة ...

وهذه الحال من اخلاف المواعيد ، واختلاق الأكاذيب ، عامة فى أرباب الصناعات فى بلادنا لم ينج منها الا الأقل الأقل ممن عصم ربك . ولقد وقع لى أنى كنت على جناح سفر إلى العراق ، وقد أعددت له كل شىء ، واتخذت لى مكاناً فى السيارة ولم يبق إلا يوم واحد فخطر لى أن أبعث إلى الكواء[1] بحلتى الجديدة لكيّها حتى إذا نزلت بغداد لبستها صالحة ، وبينت له استعجالى ونفضت إليه قصة حالى ، ونهيته أشد النهى عن غسلها ، لأنه يفسدها ويؤخرنى عن غايتى ، فما كان منه إلا أن غسلها ، طمعاً بفضل أجرة ينالها ، فأفسدها وجعلنى أسافر وأدعها ...

وآخر من الكوائين غسل معطفى بصابون له مثل رائحة الخنازير الأهلية ... فلم أستطع لبسه وحملته إليه ووبخته ، فما كان منه إلا أن أنكر أن يكون له تلك الرائحة (فإنها لتشم من مسافة فرسخ) ، وقلت : شمّها أليس لك أنف ، فشمها بمثل خرطوم فيل . وقال : ما بها شىء ! فكدت أنشق من غيظى وقلت لجماعة عنده : شموا بالله عليكم . فمدوا أنوفهم إليها ونظروا إليه ، وقالوا بلسان واحد مثل مقالته ... فاضطررت إلى أن أخرج فأدفع الثوب إلى فقير وإنى لفقير إلى مثله !

واحتجت مرة إلى عامل يصلح لى طائفة من المقاعد ، أستقبل عليها ضيفى وأكرم بها زوارى ، وهى وحدها التى أخشى اللصوص عليها ، لأنها خير ما فى الدار ، حاشا الكتب ، فدلونى على رجل له دكان ظاهر فى شارع كبير ، وفوقه لوحة كتب عليها اسمه وصناعته ووصف براعته وأمانته ، فأنست به وكان كهلا مشقشق اللسان ، وأخذته فأريته المقاعد واستأجرته لإصلاحها ، ودفعت إليه أكثر الأجرة مقدماً ، وتركته ووكلت أخاً لى صغيراً به ، وذهبت إلى عملى لم أرجع إلا المساء ، فوجدت الرجل قد بعج بطون الكراسى وأخرج أحشاءها ، وكسر عظامها وأرجلها ، ولم يقدر على إعادتها سيرتها الأولى لأنه جاهل بالصناعة ، فهرب وذهبت أفتش عنه حتى قبضت عليه ، وأعدته إلى الدار ، فاجتهد جهده ، فكانت غاية ما استطاعه أنه جعل من مقاعدى المريحة آلات التعذيب ، ومقاعد للأذى ، إن لم يشق ثوب القاعد عليه مسمار ظاهر منها ، ثقبت ظهره خشبة بارزة ، أو كان مجلسه على أحدّ من شوك القتاد ، وقبض الأجرة كاملة غير منقوصة ...

ولو شئت أو لو شاء القراء لسردت ثلاثين واقعة ، ما هذا الذى ذكرت بأشدّ منها ولا أعجب ، فأين تقع الأمانة من نفوس هؤلاء الذين يدعون أنهم من المسلمين .

* * *

وكيف أمنع إذا كان هؤلاء (المسلمون) لا يوثق بهم ، ولا يطمئن إليهم ، العامل الأرمنى والرومى والصهيونى وأقاطع بنى دينى ووطنى ؟

أما إنه لخطب جسيم — فماذا تصنع المدارس ومعلموها ، والمساجد وواعظوها ، والصحف وكاتبوها ، إذا لم يعلنوا على الخيانة حرباً لا هوادة فيها ولا مسالمة حتى يكون النصر عليها ؟ وكيف لعمر الحق يكمل لنا استقلال ، أو تتم سيادة ، أو نجارى شعوب المدنية ونسابقها ، إذا لم تسد الأمانة فينا ، وإذا كان الواحد منا لا يستطيع أن يطمئن إلى أخيه ولا يعتمد على أمانته ؟ وإذا كنا نقلد الغربيين فى الشرور فلماذا لا نقلدهم فى الصدق فى المعاملة والوفاء بالوعد ، والاستقامة فى العمل ؟

أما إن من أشكال الأمانة وصورها ، أن القلم المتين ، واللسان البليغ ، أمانة فى يد الكاتب والخطيب ، فإذا لم يستعملاها فى إنكار المنكر ، والأمر بالمعروف ، والدعوة إلى الإصلاح ، كانا ممن خان أمانته ، وأضاعها ، وفرّط فيها ... فلينظر لنفسه كل كاتب وشاعر وصحفى وخطيب !

(دمشق) **على الطنطاوى**

(١) أى للمكوجى

صور من العصر العباسي :

القرية الفضيـــــة...

للأستاذ صلاح الدين المنجد

هذه القرية ، هي إحدى عجائب العصر العباسي في بغداد . وما أكثر ما كان في زمن العباسيين من عجائب ! وكانت قرية من فضة ، وفيها كل ما تجد في القرى من بقر ، وغنم ، وجمال ، وجواميس ، وأشجار ، ونباتات ، ومساح ، وناس ، وكل ذلك قد صنع بأدق صنعة من الفضة ، وأنفق عليه آلاف من الدراهم .

وكانت هذه القرية قد صنعت للخليفة المقتدر ، ليرى كيف تكون القرى ، وأغلب الظن أنه اشتهى رؤية قرية فصنعت هذه له .

وقد نعجب بالحضارة الإسلامية التي بلغت في القرن الرابع نضجها فأبدعت أشباه هذه الأشياء . وقد يدهشنا ما أنفق هذا الخليفة من الأموال ، لتصنع له هذه القرية ، ولكن الذي يدعو إلى العجب والدهشة معاً ، قصة هذه القرية ، وأثر النساء في مصيرها .

وهذه القصة جديرة بأن تكون خاتمة لمقالي السابق عن حكومة النساء لدى الخلفاء في زمن بني العباس .

ذلك بأن أم المقتدر ، — وكان لها من الشأن ما علمت — كان لها داية تخدمها تسمى « نظم » وكانت نظم بارعة ذكية ، فما زالت حتى صارت من قهارمها ، وصارت تجرى على يديها الكبير من الأمور والصغير ، وكانت نظم ترغب في رجل اسمه أبو القاسم يوسف بن يحيى ، فرفعته ، وانتهت به إلى أسنى الأرزاق وأوسع الأحوال ، وقربت بينه وبين السيدة حتى أخرجت له الصلات ، فتأثلت حاله ، وصار صاحب عشرات ألوف من الدنانير ثم خلطته بخدمة السيدة الأم ، فزاد منها تقرباً .

وعزم أبو القاسم هذا ، على تطهير ابنه يوماً ، فاعد لوليمة الختان عدة كبيرة ، وأنفق على ذلك ما لم يسمع أن فعل مثله رجل من الحاشية ، حتى إنه لكثرة ما ابتاع من الحاجات أفرد عدة دور للحيوان ، وعدة دور للفاكهة ، وبلغ « نظم » خبره ، فسعت عند السيدة الأم وجاءته من عندها بالأموال والفرش والآنية والثياب والمخروط (وهو نوع من الزجاج) ، فلما مضت أيام سألت السيدة نظما : يا نظم إيش خبر طهر ابن يوسف ؟ قالت : يا ستي قد بقيت عليه أشياء يريدها ، فقالت : خذي ما تريدين واحمليه إليه ، فجاءت نظم إليه فقالت : إن كان قد بقي في نفسك شيء ، فعرفني . فقال لها : الختان غداً ، وما بقي في نفسي شيء إلاوقد بلغته بك ، وقد بقي في نفسي شيء لست أجسر على مسألته. قالت : قل ما في نفسك . قال : أشتهي إعارة القرية الفضية التي عملت لأمير المؤمنين ليراها الناس في داري ، ويشاهدوا ما لم يشاهدوا مثله ، فيعلموا مالي من الإختصاص والعناية . فوجمت ، وقالت هذا شيء عمله الخليفة لنفسه ، ومقداره عظيم ، وفي هذه القرية مئات الألوف من الدراهم ، ولا أحسب جاهي يبلغ إليها . وكيف يستعار من خليفة شيء ؟ ومتى سمع بخليفة يعير ؟ ولكن أنا أسأل السيدة . ومضت .

قال أبو القاسم : فلما كان الليل جاءتني ، فقلت ما الخبر ؟ فقالت كل ما تحب ، قد جئتك بالقرية هبة لا عارية ، وجئتك معها بصلة ابتدأ بها أمير المؤمنين من غير مسألة أحد . فقلت ما الخبر ؟ قالت : مضيت وأنا منكسرة القلب ، آيسة من أن يتم هذا . فدخلت على السيدة ، على هيئتي تلك . فقالت من أين ؟ قلت من عند عبدك يوسف ، وهو على أن يطهر ابنه غداً . قالت أراك منكسرة ، قلت : ببقائك ما أنا منكسرة . قالت : ففي وجهك حديث ، فقلت : خير ، قالت : بحياتي عليك، ماذاك ؟ قلت : قد شكر ماعومل به ودعا وقال إني كنت أحب أن أتشرف بما لم يتشرف به أحد قبلي ليعلم موضعي من الخدمة . قالت :وماهو؟ قلت : يسأل أن يعار القرية ليتجمل بها ، ويردها من غد . فأمسكت . ثم قالت : هذا شيء عمله الخليفة لنفسه ، كيف يحسن أن يرى في دار غيره ؟ وكيف يحسن أن يقال إن الخليفة استعار منه بعض خدمه شيئاً ثم استرده منه ، وهذا فضيحة . وليس يجوز أن أسأله هبتها له لأني لا أدري إن كان قد ملها وشبع منها أم لا ؟ فإن كان قد ملها فقيمتها عليه هينة . وإن كان لم يملها لم أرض أن أفجعه بها ، وسأسبر ما عنده في هذا .

ثم دعت بجارية فقالت : اعرفوا خبر الخليفة ، فقيل لها هو عند فلانة ، فقالت (أى لنظم) تعالى معى ، فقامت ، وأنا معها وعدة جوار حتى دخلت ، وكانت عادته إذا رآها أن يقوم لها قائماً، ويعانقها ، ويقبل رأسها ، ويجلسها معه فى دسته (قالت نظم) : فحين رآها قام وأجلسها معه ، وقال : يا ستى — وهكذا كان يخاطبها — ليس هذا من أوقات تفضلك وزيارتك ! فقالت : ليس من أوقاتى . ثم حدثته ساعة ، وقالت : يا نظم متى عزم ابنك يوسف (!) على تطهير ابنه ؟ قلت . غداً . فقال الخليفة : إن كان يحتاج إلى شىء آخر أمرت به . فقالت : هو مستكف داع ، ولكن قد التمس شيئاً ما أستحسن خطابك فيه . قال أريد أن أشرف على أهل المملكة كلهم ، ويرى عندى ما لم ير فى العالم مثله . قال : وما هو ؟ قالت : يا سيدى يلتمس أن تعيره القرية ، فإذا رآها الناس عنده ارتجعت . فقال يا ستى ، والله هذه طريفة ! يستعير خادم لناحيتنا ، وتكونين أنت شفيعة ، فأعيره ثم ارتجعه ، هذا من عمل العوام لا الخلفاء . ولكن إذا كان محله من رأيك، هذا ، حتى قد حملت على نفسك بخطابى وتجشمت زيارتى ، وأنا أعلم أنه ليس من أوقات الزيارة ، فقد وهبت له القرية ، فرى بحملها بجميع آلاتها إليه ، وقد رأيت أن أشرفه بشىء آخر ، يحمل إليه غداً جميع وظائفنا ، ولا يطبخ لنا شىء البتة ، بل يرسل إليه ، ويؤخذ لنا سمك طرى فقط .

وأمرت السيدة بنقل القرية ، فتملكها أبو القاسم (١).

***

فهذه قصة بسيطة ، على أن فيها كثيراً من حياة القصر زمن المقتدر ، وهى تبين لنا طرق الكلام ، والمحادثة ، وطرق تآمر النساء على الخليفة ، وطرق تبذير الأموال . على أن أعظم هذه الأشياء كلها ، هو تأثير نظم والسيدة فى الخليفة ، وانقياد هذا الخليفة للنساء ، وتركه الأمور لهن يصرفنها كيفما شئن وأردن .

دمشق — صلاح الدين المنجد

(١) : انظر هذه القصة فى المنتظم لابن الجوزى ص ٧٤ ج ٦ (طبعة الهند)

في الأدب الانجليزي :

ماثيـــو أرنولد
Mathew Arnold

للأستاذ خيري حماد

(تتمة)

ولكن إذا كان الناس ينظرون للشعر هذه النظرة العظيمة ، أليس من الخليق بهم أن ينهضوا به نهضة عظيمة ، ويعلوا من شأنه إعلاء لايجارى . أليس من الحرى أن يبوئوه مكانة بين العلوم الإنسانية حتى يمكنهم الحصول على مايتوخونه له من نتائج هامة ، فإن من أهم العوامل الضرورية في الشعر التفريق بين الغث والسمين ، بين الجيد والسيء ، بين الجميل والقبيح . فالشعر هو المرآة الحقيقية التي نصور بواسطتها الحياة في أحسن معانيها ، وأبهى حللها ، وهو المصلح الإجتماعي الأوحد الذي تتجاوز سلطته العقائد والقوانين ، وتتعدى عرف المجتمع .

إن أحسن الشعر في رأي أرنولد ما أردنا إنشاده ونظمه ؛ فهو الذي باستطاعته أن يسرنا وأن يخلق فينا الأفكار والظنون التي نريدها . ويجب علينا دائماً عند دراستنا للشعر من مختلف نواحيه أن نخلق في أنفسنا روح الإعجاب بالحسن والإستنكاف للسيء أو الرديء . فإن أغراضنا وميولنا الشخصية لها قيمتها العظمى في الحكم على الشعر وتقديره بالميزان الحقيقي الذي لا غلط فيه ولا ميل . فكثيراً ما تقود الإنسان ميوله الشخصية إلى المبالغة في الأحكام التي يصدرها . وهذا مما يقود إلى ارتكاب الأخطاء ، وتحمل الشاق في إصدار الحكم الذي يريده .

يعتمد جمال الشعر على القدرة التقليدية أو الإبتداعية عند الشاعر . ويختلف تقديرنا للشعر باختلاف جماله وابتداعه ، فإن كان من النوع العالي ، من النوع الخالد ، وجب علينا تقديره والثناء عليه ، وإن كان من النوع الرديء تحتم علينا أن نصب عليه جام غضبنا ، وأن نظهره للناس بمظهره الحقيقي خاليا من الرونق والبهاء ، وتقدير الشعر واستحسانه مصحوبان بالتمييز بين الحسن والسيء هما الغايتان الوحيدتان لدراسة الشعر والإقبال عليه . وكل مايعوقنا عن نيل هذه الغاية فهو مضر وغير صالح .

وإذا كنا نرغب في دراسة الشعر الحقيقي كما هو دون أيما مبالغة أو عز ، فما علينا إلا أن نظل مفتوحي الأعين بعيدين عن عالم الخرافة والكذب محاولين وزن القصيدة بقسطاس عادل ، فنحكم على الشعر حكما صادقا . ويتحتم علينا عند دراستنا للشعر أن ننظر إليه نظرة نقدية من الوجهة التاريخية فنطلع تمام الإطلاع على الحقائق التاريخية ونحاول ربطها بما جاء في القصيدة أو الملحمة ، ويجب على الشاعر عند انتخابه لأشخاص قصدته أن يتوخى الرجال المشهورين فيضع في كل ناحية من مناحي البطولة رجلها اللائق بها .

فأغنية رولند في رأيه تختلف تمام الإختلاف في معناها الشعري ومغزاها العاطفي عن قصائد هوميروس . وعند ما ننقل بصرنا من هذه القصيدة إلى تلك نشعر كأننا قد انتقلنا من عالم إلى آخر مخالف له . وعلينا أن نزن كلمات الثناء والحمد وزنا فلا نضعها دون أي ثمن . وقد قال أرسطو قديما : « إن الشعر يمتاز من التاريخ التاريخ بميزات كثيرة أهمها الصدق والثبات اللذان لا يوجدان في التاريخ كوجودهما في الشعر . فإذا عبر الشاعر في قصيدته عن فكرة ما كان في شعره مثلا أعلى للصدق والنزاهة يحاول جهده أن يعرض على قرائه وسامعيه أفكاره الحقيقية النزيهة دون أي رياء ونفاق . فمن الواجب المحتم على الشاعر إذن أن ينتقي مواضيعه له سداها الصدق ولحمتها الثبات .

ويختلف شعر شوسر الشاعر الإنكليزي المعروف عن شعر سابقيه من ناظمي الملاحم والقصائد الطويلة في شيئين هامين : أولهما المادة ، وثانيهما الأسلوب . فنشعر عند انتقالنا من قراءة شعر أسلافه إلى قراءة شعره أننا انتقلنا من عالم مادي إلى آخر مملوء الخيال والإبتداع . وامتيازه في مادة الشعر يتناول نظرته الواسعة نحو الحياة البشرية بما فيها من بساطة ودعة ، جلاء ولطف ، فله القدرة الشعرية على اختراق حجب الحياة والتطلع بعين المستطلع نحو صور الحياة الحقيقية . وأما أسلوبه فيختلف عن أسلوب سابقيه اختلافا واضحا بينا ، فهو أول من وضع للشعر الإنكليزي صورته الحقيقية التي نشاهدها في عصرنا هذا . وقد

أثنى عليه النقاد فى مختلف عصور اللغة الإنكليزية ، فدحه جونسون ، وأطراه درايدن .

وفى شعر شوسر نرى عذوبة وسلاسة لا نشاهدها فى شعر غيره من أسلافه ومعاصريه ، فقد كانت له المقدرة اللغوية التامة للتحكم بألفاظ اللغة ووضعها فى أوضاعها الحقيقية دون أى تكلف ، ومع كل هذه الميزات فإن شوسر لا يعد من كبار الشعراء المقلدين . فقد كانت تعوزه القدرة على ضبط الوزن والموسيقى الشعرية التى نجدها كثيراً فى شعر الشاعر الخالد دانتى الإيطالى ، ولكن يمكننا أن نجزم أن هذه الموسيقى لم يستطع أحد من الشعراء الإنكليز حتى عصر وليم شكسبير أن يأتى بمثلها أو يقلدها .

واعتقد أرنولد أن عصر درايدن وما تلاه من العصور كان عصر تأليف وابتداع وترقية للشعر عما سلفه من العصور . وكان درايدن يظن أن أسلافه لم يفهموا الشعر الإنكليزى حق فهمه . وكولى نفسه لم يؤمن بشاعرية شوسر ونبوغه . وعند ما أراد جوزيف أديسن أن يمتدح شعر درايدن اتخذ من قصائده مثلا أعلى للمقابلة والمقارنة . وكان الاعتقاد السائد طوال القرن الثامن عشر أن درايدن وجونسون وبوب وأديسن هم فحول الشعر الذين لم يجارهم سابق ولا لاحق .

وهنا يسائل أرنولد نفسه : أنعتبر درايدن وبوب شعراء مقلدين؟ وهل التقدير التاريخى فى معظم الكتب الأدبية لهذين الشاعرين تقدير صحيح؟ فقد أنكر وردزورث وكولردج على هذين الشاعرين مقدرتهما الشعرية . ولكن القرائن والدلائل تشير بأنه سيأتى يوم عما قريب ، ترجع فيه سطوة القرن الثامن عشر الشعرية ، ويرجع الناس إلى تقدير شعرائه وكتابه .

وينتقل أرنولد بعد هذا البحث الطويل فى الشعر إلى تطور النثر وأثره فى الأدب الانكليزى . وفى هذا الكتاب تتجلى لنا عظمة أرنولد فى النقد ، وكيف ينقد بأسلوبه اللاذع الكتاب والشعراء من أسلافه ومعاصريه .

ولأرنولد كتب أخرى أهمها كتاب : « الثقافة والفوضى » وكتاب : « القديس بولس والبروتستنية » . وكتاب : « الأدب والعقائد » وكتاب : « الله والتوراة » وغيرها من الكتب الكثيرة .

خاتمة :

مما تقدم فى بحثنا عن حياة ماثيو أرنولد وفنه ، يمكننا أن نتأكد من أن حياته كانت مثمرة مفيدة . فقد كتب قبل وفاته أكثر من عشرين كتاباً اعتبر البعض منها من أحسن ما كتب فى اللغة الإنكليزية .

ويجدر بنا قبل أن نختم مقالنا أن نضيف بعض الحقائق التى لا غنى لنا عنها . لقد هجر أرنولد الشعر وسنه لم تتجاوز الأربعين حيث اعتقد أن الشعب الإنكليزى لا يفهم الفن والشعر مطلقا ، وإنما يهتم بالأمور المادية فحسب ، وهذا ما حمل أرنولد على أن يهاجم مجتمعه هجمات شديدة فى كتابه الأول الذى أصدره فى عالم النثر . ومن هذه السنة إلى يوم وفاته يندر أن نجد له قصيدة مشهورة ، فقد وجه معظم انتباهه إلى النقد والنثر والسياسة .

كان أرنولد من أنصار المدرسة الكلاسيكية التقليدية فى أفكاره ، ولذا نراه يحاول أن يعيد لهذا العصر بهاءه ورونقه بعد أن طغت عليه صروف الزمان وظهرت تلك الثورة الأدبية المخيفة التى بدأ بها الشاعران وليم وردزورث وكولردج سنة ١٧٩٨ ، عندما أخرجا إلى العالم كتابهما الخالد : « القصائد الغنائية » ، فقضت على الأدب الكلاسيكى قضاء مبرما . ولكن أرنولد بدوره رغب فى الرجوع إلى المواضيع الكلاسيكية القديمة ، فنظم بها عيون قصائده كقصة تريسترام وامبدوكليس وميروب ، وكان ينكر على الرومانتيكيين فرديتهم ومحاولتهم إشباع رغبتهم فحسب ، بينما فى الحقيقة على الشعب أن يهتم بالآداب العالية فى جميع اللغات ، ولا يقتصر بحثهم على الآداب الإنكليزية فقط .

وقد حمل حملة شعواء على المتطهرين لاعتقاده أن هذه الفكرة أو هذا المذهب يحصران الدماغ فى محيط لا يتجاوزه ولا يتعداه ، وهذا مما يضيق نطاق الأدب ، ويهدم ذلك الصرح الذى بناه الأدباء من سالف العصور .

وعلى الإجمال فإن أرنولد يعد من خير حملة الأدب فى النصف الأخير من القرن التاسع عشر ، وشهرته آخذة بالازدياد شيئا فشيئا ، فلا غرو أن رأيناه بعد مدة ليست بالطويلة يتبوأ محله اللائق به فى عالم الفن والنقد والأدب .

خيرى حماد

كيف نحبب الكتاب إلي الأطفال ؟

[مقدمة الجزء الأول من كتاب حكايات الأطفال بمناسبة الطبعة الأخيرة منه .]

للأستاذ كامل كيلاني

من المشاهد المألوف أن الطفل إذا قص عليك خبراً ، لجأ إلى تكرار الجمل كأنما يتثبت من معانيها فى ألفاظها المكررة ، فلنكتب له — وهو فى هذه السن — محاكين أسلوبه الطبيعى فى تكرار الجمل والألفاظ ، لتثبت المعانى فى ذهنه تثبيتاً ، ولنكرر له الجمل برشاقة ، لنسهل عليه قراءتها ، فإن لكل مقام مقالا .

ومن المقرر أن الطفل — فى هذه المرحلة — ملول يتهيب الكتاب ، فلننزع من نفسه هذا الملل ، ولنحبب إليه الكتاب بكل وسيلة ، فنبسط له الأسلوب تبسيطاً ، ونكثر له من الصور الجذابة الشائقة التى تسترعى انتباهه ، لنشعره أن الكتاب تحفة تُهدى إليه إهداء ، وليس واجباً يكلَّف به تكليفاً ، فإن الطفل — إذا ساء ظنه بالكتاب — صعب اجتذابه إليه بعد ذلك .

وقد وفق أكثر من تصدوا لتأليف كتب الأطفال توفيقاً عجيباً فى تبغيض القراءة إلى نفوسهم ، وتنفيرهم من المطالعة ، فأصبحوا يمقتون الكتاب أشد المقت ، ويهربون من قراءته ، لأن المؤلفين لم يراعوا سن الطفل وميوله ورغباته ، ولم ينزلوا — أو هم على الحقيقة — لم يستطيعوا النزول إلى مستواه ومخاطبته باللغة التى يفهمها وترتاح إليها نفسه ، ومن الإنصاف أن نقرر — بصراحة — أنهم لم يضعوا كتبهم على نسق خاص أو منهج بعينه ، وأنهم فى تأليفهم لم يتشبعوا بفكرة فنية تنتظم الكتاب وتؤلف بين أجزائه ؛ لأنهم يقنعون بتصيد موضوعات الكتاب — كيفما اتفق لهم أن يتصيدوها — فيخرج الكتاب خليطاً مضطربا لا تؤلف بين أجزائه فكرة بينها ، ولا يتناسب أسلوبه مع مدارك الأطفال .

إن الطفل ميال — بطبعه — إلى الحكايات والقصص ، وهو بفطرته مفتون برؤية الصور الجذابة . فلنختر له منها ما يناسب سنه ، ويتفق مع ميوله ورغباته وتفكيره ، وقد حفزنا هذا الإعتبار إلى تأليف « قصص للأطفال » بالأمس ، كما حفزنا اليوم إلى تأليف « حكايات للأطفال » . وقد كتبنا الأولى لكبار الأطفال ، والثانية لصغارهم . ولقيت قصص الأطفال — من الإقبال والعناية — ما شجعني على تأليف هذه الحكايات .

* * *

أما الفكرة التى انتظمت هذه السلسلة « حكايات الأطفال » فهى « التكرار » ، يكثر فى أولها ثم يقل — كلما تقدم الطفل فى القراءة — بالتدريج ، حتى يصل إلى قراءة الأسلوب الموجز الذى لا تكرار فيه بلا مشقة أو إعنات .

وقد تدرجنا بالطفل فى هذه السلسلة حتى يكون آخر جزء منها ممهداً لقراءة أول جزء من أجزاء السلسلة الأخرى « قصص الأطفال » ، وإنما عمدنا إلى التكرار عمداً ، بعد أن أقنعتنا التجارب العملية ، أنه أصلح أسلوب يلائم الطفل الناشىء ، ويشجعه على القراءة .

وذلك أن الطفل الناشىء لا يقرأ الكلمة إلا بجهد كبير ، ولا يتم قراءة السطر إلا بشق النفس ، فلنقتصد جهدنا فى استعمال الألفاظ الجديدة ، ولنؤلف له من الألفاظ القليلة التى يقرؤها الكبير فى بضعة أسطر عدة صفحات كاملة لندخل فى روعه أن القراءة ليست صعبة كما يتوهم ، وليست شاقة مضنية ، كما ألفها فى الكتب الأخرى ، بل هى سهلة ميسورة ، وهى — إلى سهولتها ويسرها — ممتعة شائقة . تملأ نفسه بهجة وانشراحا ، وثمة يشعر الطفل بثقة فى نفسه إذ يرى أنه يقرأ صفحة كاملة بجهد يسير ، فهو لن يتم قراءة السطر الأول حتى يسهل عليه قراءة السطر الثانى والثالث والرابع وهكذا ، لأن الألفاظ لا تكاد تتغير فى الجمل إلا بمقدار يسير .

* * *

هذا هو المنهج الذى أخذنا به أنفسنا فى تأليف هذا الجزء وما يليه من الأجزاء . فإن وفقنا فى هذه الخطوة — ونرجو أن يكون ذلك — فقد أدينا بعض ما يجب علينا أداؤه لهذا الجيل الناشىء الذى نعلق عليه أكبر الآمال .

كامل كيلاني

تأملات :

من الســــاخر ؟!

للأستاذ عبد العزيز الكرداني

ذات يوم .. ركبت ترام « المترو » فى رفقة صديق له مثل اتجاهاتى ونظراتى وتأملاتى فى الناس وفى الحياة . وكان الوقت مساء .. وكانت الأضواء الباهتة تترنح سكرى فى سدفة الليل .. وكانت النسمات لينة تنفذ إلى الرئتين فى رفق ودعة ، فتستجيش انفعالات وخواطر شتى !

ولما بلغنا فى الطريق إلى منتصفه ، أشار صديقى خفية إلى رجل يجلس قبالتنا .. وهمس فى أذنى قائلا : « انظر ..! »

... ونظرت .. فإذا شيخ هِمٌّ أرسل لحيته الكثة إرسالا فطريا مستبشعا ، فبدت كأنها دغل كثيف منتن . وكان الشيخ فى أسماله الحائلة الرثة ، ووجهه القذر المتغضن ، وفمه الفاغر ، ونظراته الشاخصة ، قابعا فى غفلة وتبلد أشبه ما يكون بركام مطّرح من قذر وعفونات !

قال صديقى بعد فترة من النظر المتأمل إلى وجه هذا المسخ الآدمى « أترى إلى هذا (الشىء !) ؟! أتراه يكون (إنسانا) ؟! »

.. قالها صديقى ، ولم يكن يرمى إلى الزراية بهذا التعس .. ولا كان يقصد إلى اصطناع السخر منه .. وكل ما كان يبتغيه هو أن يفصح — فى صدق — عن حقيقة تجسمت أمام ناظريه !

... وافترقنا .. وطوت الذاكرة هذا المشهد فيما طوته من مشاهد ، وإن تحصّل فى نفسى راسب منه ، لم يكن من اليسر أن يقتلعه النسيان ومرور الأيام من واعيتى الباطنة ... حتى كان يوم من أيام هذا الشتاء الجهم لقيت فيه صديقى .. فتذاكرنا سويا هذا المشهد ، واسترجعنا فى خيالنا صورة ذلك الشيخ . ثم خلفت صديقى ، ومضيت إلى دارى . وهنالك — حين خلوت إلى نفسى — وجدتنى أردد هذه العبارة : «من .. من الساخر؟!» ؛ ثم وجدت الذهن ينبثق عن خواطر .. رأيت أن أسجلها فى هذه القطعة الفنية ، التى أقدمها لصديق .. شريكى فى النظر والتأمل — هدية متواضعة .. طالما أمنه أن يعمل الفكر والحس والشعور فى مضمونها ونحواها .. ثم أسأله — بعد ذلك — أن يتحرى أن يحاول مطابقة الراسب المتحصل فى نفسه بتأثير هذا المشهد ، بالراسب الذى أوحى إلىّ هذا الكلام :

« .. من ؟! من يكون الساخر فى هذى الحياة ؟! »

أتراه يكون ذلك الشيخ الهم الذى طوى السنوات الطوال — وما زال يطويها — لا يدرى من أمر خلقه شيئا .. لا يعلم للحياة غاية إلا أن يعيش .. ويظل يعيش !

.. لا يعرف من هدف فى الدنيا سوى أن يعمل على أن تمتد به الحياة .. ليظل يحيا .. لينسأ أجل الوفاة !

إنه ليأتدم بالخبز مختلطا بالقذر ، ويطعم شرائح اللحم ممزوجة بروث البهائم ، ويكرع فى الماء الآسن ، حمئا ذائبا فيه الطين ؛ وينام الليل الطويل على فراش من حصى وقش بأسر ! إن حياته لتطرد على هذه الصورة السنين تلو السنين . وهو على حاله من طلب البقاء والرغبة الملحة فى الدوام !

أترى ذلك « الشيخ » يكون الســــاخر ؟ أم يكون هذا « الفنان » الذى انصرف عن كل شىء إلا فنه .. ونظر إلى الكون على أنه مسرح تمثل عليه رواية ، لا يهمه من أمرها شىء .. إلا بقدر ما تشبع حاسته الفنية وتروى ...

إن كل ما فى الكون ، إنما يتخذ قيمه وخصائصه — عنده — بهذا الفن .. هذا الفن وحده !

وإن ناسا يعيشون فى هذه الحياة ، ولا يعرفون من أمر « هذا الفن » شيئا ، لهم — فى نظره — والعدم سواء !

إنه ليلهو عن الحياة فى واقعها ، بتلك الحيوات الكثيرة المتنوعة .. وتلك العوالم العريضة الرائعة يفتقها خياله المفتن الصناع ، الذى يجد معينه الدافق — دائما — فى عالم النفس الرحيب ، وعالم الروح الطليق !

أترى الساخر يكون ذلك « الفنان » .. أم تراه يكون هذا « الباحث » المنقب الذى سلخ جل حياته حبيس عقله الراصد للظواهر ، المستكنه للعلائق المستورة الخفية ، والخصائص الكامنة المطوية .. تتقلب به الدنيا ، وتدور من حوله الأحداث ، ويجلل الشيب رأسه يوما بعد يوم ... وهو لا يدرى من أمر هذا كله

هذا العالم المتغير:

أبحاث الذرة وفلسفة الكون

للأستاذ فوزي الشتوى

[لكى تفهم ما هى الذرة يجب أن تعرف شيئاً عن تاريخ فلسفة الكون فقد عرفنا الذرة بالفلسفة لا فى المعمل وعرفنا بعد تفكير دام آلاف السنين] :

الشمس فى الأرض

يخطىء من يظن أن أبحاث الذرة وطاقتها بنت القرن الحاضر أو الماضي، فدارس التاريخ . والفلسفة يجد بذورها الأولى فى عصور قد ترجع إلى ما قبل التاريخ . والذرة باليونانية (Atemno). وقد عرف المصريون القدماء فى عصور الاسرات الأولى إلها باسم أتوم ورمزوا له بالشمس وما تضم من قدرة وحيوية . فإن أردت أمثلة من تراتيله تجدها منتشرة فى كل كتب العبادات المصرية . فله قالوا :

المجد لك يا أتوم خالق نفسه بنفسه .

فأنت إله الشمس وخالق العالم .

خالق الآلهة ومنتج كل شيء .

وهو أيضاً : خالق الجرثومة فى المرأة .

وصانع البذرة فى الرجل .

ومانح الحياة للابن فى جسد أمه .

وادرج مع التاريخ تجد فلسفته تنتشى مرة وتخبو أخرى حتى يظهرله مثيل على يدى أخناتون الذى رأى فيه إلهاً عالياً سماه أتون، ورأى فيه « القوة التى تمثل الشمس فى الأرض » لا يقتصر أمره على مصر أو طيبة بل يمتد ويشمل الأرض كلها . فهو الرمز الماثل فى كل حيوان أو نبات أو جماد أو غاز ، أو ما يفسره العلماء الآن من أن ذرات الأجسام تشبه النظام الشمسى .

من مصر إلى اليونان

ولكن الخلافات الدينية وقوة كهنة الآلهة آمون عصفت بفلسفة أتون وديانته . وهى خلافات سياسية أكثر منها دينية . فلم يكن الفرق بين فلسفة الالهين يبرر استئصال شأفة أتون عقب وفاة اخناتون مباشرة

وقد بلغ الحقد بالكهنة حداً دفعهم الى تدمير كل ما وصل إلى أيديهم فلم تنج منه سوى تراتيل قليلة لا ندرك منها بالضبط سر فلسفة أتون ، ونظرها إلى الكون وتركيبه . ولكن الثابت

شيئاً .. إلا هذا « الكل » الذى يعيش فيه ... ويعيش من أجله ويأمل أن يمتد به العمر ليصل حلقة من حلقاته المفرغة !

أتراه يكون الساخر فى هذى الحياة ؟ أم يكونه هذا « الطفل » الغرير الذى لا يستشعر « الوجود » وجوداً إلا أن ترد ظواهره كلها إليه ... إلى ذاته ؛ ولا يحس « الحياة » حياة إلا أن تتفاعل بكل ما فيها وكل من فيها فى داخل نفسه ... فى محيطه الخاص المستقل ، الحافل بالصور الغريبة ومستطرف التهاويل !

إنه ليرى أن كل شيء فى هذا الكون له .. وهو لا يملك شيئاً منه فى واقع الحال ، وما من شيء فى الكون — إن علم — ليقبل أن يخضع للتخصيص !

كل أهدافه أن يستشعر الناس أحاسيسه ، ويجاوبوه عنها ! كل مبتغاه أن، تلبى مطالبه ، وتُقضَّى حوائجه للحظة التى هو فيها ، وبالصورة التى يريد !

أيكون هذا « الطفل » هو الساخر فى هذى الحياة ؟!

أيكونه ؟ ! أم يكونه واحداً من هؤلاء ؟ أم يكونونه جميعاً ؟ أم لا يكونه واحد من أيهم !

لست تدرى ... ولست أدرى ... ولسنا — جميعاً — نملك إلا أن نتساءل : من ؟ ! ... من يكون الساخر فى هذى الحياة !

لنجد الجواب — دائماً — حيرة أبدية مشبوبة ... وقلقاً سرمديا ... هما وسم كل « حى » ... وسر كل « حياة » !

(مصر الجديدة) عبد العزيز الكرواني

أن سلطة الكهنة أكرهت الملك توت عنخ آمون الذي ولى العرش عقب اخناتون على تغيير اسمه من توت عنخ آتون الى توت عنخ آمون كما لقبوا اخناتون « بمجرم اخيتاتون » وهي إحدى المدن التي جعلها مقراً لفلسفته الجديدة

ولا يستطيع باحث أن يجزم بأن الفلسفة اليونانية لم تتأثر بالفلسفة المصرية في عهد الفراعنة . بل الراجح أنهم أخذوا عنهم الكثير من دياناتهم ، ومبانيهم ، وحضارتهم ، وشتى نواحي الحياة ، بما فيها فلسفة الكون وعناصر تركيبه

وقد نتساءل وما دخل الذرة بفلسفة اليونان أوقدماء المصريين؟ ولكن علومها بنيت على أساس فلسفي ، ولم تبن على أساس كيماوي أوطبيعي منبته المعمل . بل شيدت نظريات الذرة والكون على منطق دقيق أطلق فيه الفلاسفة العنان لخيالهم وتقديرهم

اليونان والذرة

ففي عام ٤٠٠ ق . م . ظهر فيلسوف يوناني اسمه ديموقريطس قال إن العالم يتألف من فراغ لا نهائي ومن عدد لا نهائي من دقائق لا تدرك ، وأن المادة تتألف من تجمع هذه الدقائق المعروفة باسم Atoms الذرات ومعناها باليونانية التي لا تتجزأ . وفسر خلفاؤه دعواه فقالوا انك لو تناولت قطعة من المعدن وقسمتها الى جزءين متساويين ثم واليت التجزئة فانك ستصل في النهاية إلى جزء لا يمكن تقسيمه

وكان هذا التفسير هو بدء عهد الذرة كما يسميه التاريخ الواضح . وامتدت العقول أيضاً إلى خواص الذرة وطبيعتها فقالوا إن السوائل تتألف من ذرات ناعمة سهلة الحركة ، بينما الأجسام الصلبة تتألف من ذرات خشنة ذات خطاطيف تتشابك إحداها بالأخرى . ولكن علماء اليونان ومنهم ارسطو رفضوا الأخذ بهذه النظرية فانغمرت حينا من الزمن ، وإن بقي لها أتباعها ومؤيدوها

وفي عام ١٣٤٨ ظهر نيقولا انتروشيا وقال إن الظواهر الطبيعية يمكن أن تفسر على أساس اتحاد الذرات وتفرقها ولكنه اضطر الى نقض أقواله التي حدث في ذلك الوقت الحاداً

ولكن ارسطو ابتدع نظرية جديدة حين قال إن المواد التي نشهدها ونتناولها تتألف من أربعة عناصر : هي الأرض والهواء والماء والنار . ولم يفهمها بالمعنى الكيماوي المعروف الآن بل من حيث خواصها . فالأرض مركب من الجفاف والبرودة ، والماء من البلل والبرودة ، والنار من الجفاف والحرارة ، والهواء من البلل والحرارة .

العرب وحجر الفلاسفة

وأضاف العرب إلى هذه العناصر في العصور الوسطى ثلاثة عناصر أخرى هي الكبريت والزئبق والملح . وكان من الطبيعي أن تؤدي هذه النظريات إلى انه من الممكن تحويل معدن إلى معدن مما أنتج البحث عن حجر الفلاسفة ، أو قلب المعادن الخسيسة الى ذهب ، وضمان دوام الصحة الكاملة ، والشباب الناضج الحي وكان أصحاب هذا الذهب يتفرقون شيعاً في الاحتفاظ بأسرار أعمالهم التي كانوا يحرصون كل الحرص على اخفائها عن عيون الناس وأفهامهم . وقد وصلت قصص دعاياتهم إلى نهايتها في عام ١٧٨٢ حين قدم جيمس بريس أحد أعضاء الجمعية الملكية في لندن إلى الملك جورج الثالث عينة من الذهب ، وقال انه استطاع استخراجه من معادن أخرى

وكان لتصريحه ضجته ، فمنحته جامعة اكسفورد إحدى درجاتها العلمية . كما قام المعارضون يناقضونه ويهاجمونه في قسوة، فطلب اليه مدير الجامعة أن يكرر التجربة أمام أعضائها . وتلكأ بريس بضعة أشهر ثم وافق على الاقتراح . فلما حان موعد التجربة تجرع بريس سماً زعافاً من قارورة صغيرة فقضى عليه في دقائق

الذرة في مرحلة النشاط

ودبت الحياة مرة ثانية في ابحاث الذرة واستنتاجاتها ، حين نشر جوزيف بروست مبدأ النسب المحدودة . ومضمونه أن أي مركب كيماوي يحتوي دائماً على ذات النسب المتساوية في الوزن ثم تبعه جون دالتون في عام ١٨٠٨ فاعتنق مذهبه وأضاف اليه مبدأ النسب المضاعفة ، ومضمونه أن عناصر كيماوية معينة تتحد

ببعضها البعض لتؤلف مركبات كيماوية مختلفة فى أوزان ذرية مضاعفة .



جون دالتون

وقد كان جون دالتون مدرساً بائساً فى مدرسة صغيرة بانجلترا ولكنه وضع أسس النظرية الذرية ، حين قال إن قانون النسب الثابت لبروفست يمكن أن يفسر بأن العناصر مؤلفة من ذرات ثابتة . كما بين أن ذرة عنصر يمكن أن تتحد بذرات عناصر أخرى فى حالات مختلفة . وعلى هذين الأساسين تقوم الكيمياء الحديثة

وكانت لفظة الذرة تستخدم بطريقة غير محدودة ، حتى قام اماديو افوجادرو العالم الايطالى فى عام ١٨١١ ، ففرق بين الذرة والجزىء .

والمعروف الآن أن الماء يتكون من ذرتى ايدروجين وذرة اكسوجين ؛ ولكن العلماء كانوا يقولون ذرة ماء وذرة ايدروجين برغم الاختلاف بينهما ، وان الذرة جزء من كل . فلما جاء إفوجادرو فرق بين المعنيين وجعل الذرة وحدة العنصر . والجزىء وحدة المركب ، أى أن الجزىء يتكون من عدة ذرات تختلف باختلاف المادة

ووضع فوجادرو مبدأ آخر ، وهو أن المواد النازية تتألف من جزيئات لا من ذرات . فجزىء الايدروجين مثلا يتكون من ذرتى ايدروجين ، ومثله جزىء الاكسوجين من ذرتى اكسوجين وان الذرة لا توجد مفردة

والمفكرون أيضاً

وكما ساهم رواد الكيمياء والطبيعة فى التفرقة بين الذرة والجزىء ، ساهم المفكرون من أمثال بيكون وديكارت فى تعليل بعض الظواهر الغريبة وأهمها الحرارة فسموا الوحدات الحرارية « بالسمر » وقالوا انها تحرك دقائق المادة . فلما كانت سنة ١٧٢٨ تقدم دانيل بارنويلى بنظريته القائلة بان دقائق المواد النازية فى ذبذبة وحركة مستمرة . وان ارتفاع درجة الحرارة معناه زيادة فى ذبذبة الدقائق . وافترض بان الضغط الذى ينشأ على جدران وعاء ليس فى الواقع سوى احتكاك تلك الدقائق ببعضها البعض .

وقد فسرت هذه النظرية خواص النازات بطريقة طريفة مقبولة مازلنا نعتنقها حتى الآن ، ونسير على هديها فى أبحاثنا ، وإن كنا قد فسرناها على ضوء الأبحاث والتسميات الجديدة ، فوضحت لنا لماذا تتمدد النازات بالتسخين وتحتاج إلى حيز أكبر لما ينتابها من شدة الذبذبة ، وحاجة حركتها إلى فراغ أكبر . وهى التى تعلل سبب اندفاع الغاز بقوة أكبر إن سخناه فى حيز محدود .

ولم يفهم العلماء آراء نويلى لأنها كانت سابقة لأوانها فتجاهلوها ، ولكن الأيام مرت ، وأوشك قرن كامل أن ينقضى على دعوته ، حين ظهر العالم الإنجليزى جيمس بريسكوت جول وكان من تلاميذ دلتون ، فأحيا نظرية نويلى . وفسرها بأن النشاط الميكانيكى يمكن أن يحول إلى حرارة تتناسب مع مقدار الجهد . ويمكنك أن تلحظ هذه الظواهر فى حياتك العملية ، فعند ما تحس البرد تفرك يديك إحداهما فى الأخرى لتسخنا . وإن نشرت قطعة خشب ترتفع حرارة المنشار تبعاً لسرعة حركته .

مواد لا وجود لها فى الحياة

ومن المكتشفات الذرية قائمة العناصر التى وضعها الكيماوى

الروسى ديمترى إيفانوفتش مانديليف فى عام ١٨٦٩ فقد أثبت أنه إذا رتبت العناصر الكيماوية ترتيباً تصاعدياً تبعاً لوزنها الذرى فان العناصر تتشابه كل عدد معين . فإذا بدأت بالليثيم مثلا وعددت ثمان مواد فانك ستجد الصوديوم ثم عد ثمانية عناصر أخرى فتجد البوتاسيوم . فهذه العناصر الثلاثة تشترك فى كثير من الخواص وكلها معادن بيضاء تتفاعل مع الماء بشىء من العنف .



ديمترى إيفانوفتش ماند ليف

وعلى أساس الأوزان الذرية ، وضع منديليف قائمة بأسماء المواد . وكان من الجرأة والثقة بعلمه وبنظريته حتى ترك بعض الأماكن بيضاء لأنها تنقص معادن غير معروفة . ولكنه تنبأ بخواصها تبعاً لنظريته . فلما مرت السنوات واكتشفت بعض هذه العناصر الناقصة كانت خواصها مطابقة للخواص التى تنبأ بها منديليف . وتتألف هذه القائمة الآن من ٩٢ عنصراً ما زال اثنان منها مجهولين .

ولعلك تتساءل عن حجم الجزئ أو الذرة . وهو سؤال يصعب تصوره ، ولكن البوصة المكعبة من الهواء تتألف من ٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٨٠٠ جزئ . والذرة أصغر من الجزئ لأنها جزء منه . فان أردت لها قياساً ، فتصور أنك لو رصصت ذرات حول الجدران الخارجية لأدق نقطة تراها فان عدد هذه الذرات يبلغ خمسة ملايين ذرة .

وقد تنكر وجود هذه الدقائق التى لم يرها إنسان ، ولكن العلماء يرونها ضرورية لتفسير بعض الظواهر الغريبة التى تطرأ على المادة ، كما يجدونها معقولة من الناحية المنطقية . ولم يجدوا ما يمكن أن ينفيها . وعندما نتحدث عن الذرة ، فيجب أن نذكر شيئين ، وهما الصلابة والسكون . فهما لفظان لا معنى لهما فى عالم الذرة والجزئ لأنهما ليسا صلبين ولا ساكنين . والجسم الساكن الصلب الذى تراه يتكون من رقم بالغ الضخامة من الأجسام الدقيقة الدائمة الاهتزاز ، والتى لا تمس واحدة منها الأخرى ولكن تربطها قوة جاذبية . ويمتنع التصاق جزئ بآخر بفعل هذه الذبذبة الدائمة .

فوزى الشتوى

بنلوب ... ! (*)

PENELOPE

أسطورة تمثيلية غنائية

للشاعر عبد الرحمن الخميسى

الراوى: اطرحْ قيودَ الحاضر   واحلمْ بعصرٍ غابرِ
واصنعْ جناحَ توهمٍ وخيالِ   واعبرْ إلى الماضى ذرى الأجيالِ
طِرْ نحو عهدٍ فى الزمان سحيق   واشهدْ (أثيكا) درةَ الإغريق
تلك المدينةَ جلَّ من أنشاها   انظرْ إليها ودّعتْ مولاها
هرعت بزين جموعها أوديسيوس   مَـلِكٌ تخر إذا أرادَ له النفوسْ
لبى نداء الحرب والأوطانِ   متـدرعا ببطولة الشجعانِ
هذى أثيكا نسوةً وصغارا   وقفتْ تودع جيشها الجبارا
اسمع وداعَ الأهلِ للفرسانِ   من كل معتنقين يفترقان !

كورس: حاربوا المعتدينْ   بالسلاح اليقينْ
وارجعوا ظافرينْ   للحمى ... والربوعْ
يا شباب الجهادْ   يا حماة البلادْ
اغمروا كل وادْ   بالدما ... والدموعْ
ليس بعد الحروبْ   غير لقيا الحبيب
وشفاء القلوبْ   وارتياحُ الضلوعْ !
حاربوا المعتدينْ   بالسلاح اليقينْ
وارجعوا ظافرينْ   للحمى ... والربوعْ

الراوى: طوى الجيوشَ عباب   من الزمانِ رهيبُ
وليس يُسمع عنها   إذا سألتَ مجيبُ
وكلُّ ما قيلَ حدسٌ   مما تودُّ القلوبُ
وأدبرتْ سنواتٌ   ما عاد فيها غريبُ
وزوجِ أوديسيوسٍ   جارت عليها الكروب
غام الأسى فى سماها   مسكينةٌ بِنِلوبُ !
أكلما جنَّ ليلٌ   أوهى قواها النحيبُ ؟
وراقَ فى ناظريْها   خيالُه المحبوبُ ؟ !
يا شوقها إذ تناديه   والحنايا لهيبُ
فى مخدعٍ ليس فيه   سوى خُطاها ديبُ
يا حزنها إذ تناجيه   وهو لا يستجيبُ

بنلوب: أوديسيوس حبيبى   طال الحنين إليكا !
ولم تَعُدْ ... يا بلائى   يا ويل روحىَ منكا !
أقمتُ فى البُعد محرا   بـاً للهوى والوفاء
ورحتُ أسجد فيه   لذكريات هنائى
وليس يرحم ما بى   سوى الدجى والسكونِ
وطيفُكَ الحلو يغرى   بالسهد نورَ عيونى
كفّنتُ من أجل حبى   باليأس زهرَ شبابى
وعشتُ أحرق نفسى   ومهجتى فى عذابى

الراوى: وفيةٌ أوردتْ صباها   متالفَ الدمعِ والحنينِ
ودار باليأس حولها العمرُ   شاكيًا فاجعَ الأنينِ
ولم يَعُدْ ذا كرٌ سواها   لزوجها الفارس الأمينِ
فهذه حولها (أثيكا)   تضج باللهو والمجونِ
نسيانُ ! يا طبَّ كلِّ داء !   أبْعِدْهُ عن قلبها الحزينِ
وضُمَّهُ مثلما ضممتَ الـ   ـذين تاهوا مع السنينِ
وانفضْهُ من روحها وأغرِقْـ   ـه فى دجى سرك الكنينِ
أنتَ الذى تمنحُ الشقيّيـ   ـنَ كلَّ سلوى فى كلِّ حينِ
وتمسحُ الهمَّ بالتأسّى   وبالأمانى وبالحنينِ !
صغرتَ والله عن أساها !   وضقتَ عن شوقها الدفين !
نسيانُ ! إنى أراكَ أوهى   من حُبّها الخالدِ المكينِ !
كم مرة أحرقتْ فؤاداً   بنظرة غضة الجفونِ
يشع من وجهها سنى خا   طفٌ من السحرِ والفتونِ
يضىء يغرى القلوبَ تجثو   لحسنها الرائع الحزينِ
كم راجح العقل تيّمتْهُ   فَصَيَّرَتْهُ إلى الجنونِ !
وكم أميرٍ مُداهنٍ عطـ   ـفها لدى قلبها الحصينِ
وطيفُ محبوبها مقيمٌ   يُقْصيه عن حرمة العرينِ

الأمير: وهبتكِ قلبى فلا تنبذيه   وصونيه ... إن غرامك فيهْ
ألا ترحمينَ له خفقةً   تنادى فؤادك كى يحتويهْ
بحسنك يا ربّتى أنقذيهْ   وفى قبضةِ اليأسِ لا تتركيهْ

(*) نظمت هذه الأسطورة للاذاعة ، وحقوق تمثيلها وغنائها لمحطة الشرق الأدنى للاذاعة العربية .

التنور عدة مرات ونسخه المخطوطة كثيرة . أما مخطوطتي فحسنة الخط مشرقة الحرف فيها تواليع بالحمرة في عناوينها وبعض كلماتها ولم يذكر في آخرها اسم ناسخها ولا تاريخ نسخها ، غير أن الناسخ بعد أن أتم نسخها عاد فنقل من كتب الوعظ والحكم فوائد ملأ بها عشر صفحات وقد بدأ الفائدة الأولى بقوله : (ومن فوائد مؤلف هذا الكتاب : الوجود أقسام أربعة : خير محض وشر محض وشر وخير ولا شر ولا خير الخ) ثم ذكر أبياتا في الحكم ثم ثلاث قطع من الشعر في آخر كل قطعة تاريخ بحساب الجمل سجل فيه حادثة جرت في مصر منذ ثلاثمائة سنة ونيف . وقد كتب الناسخ القطع الشعرية الثلاث من دون مقدمة ولا عنوان ولا تعليق ولا مناسبة لما قبلها أو لما بعدها .

وبعد أن أتم القطع رجع إلى سرد فوائده الحكيمة كأنه لم يأت بشيء جديد ولم يستطرد إلى خبر غريب لا علاقة له بالفوائد والرقائق التي يسردها . وهذه هي القطع الثلاث نثبتها هنا على ما فيها من خلل في الوزن وركاكة في التعبير أو أن ذلك كله إنما وقع من جهل الناسخ لا من بلادة الناظم .

— ١ —

لقد كانت الأمصار تحسد مصرنا   وتدعى بروض الملك في سائر القرى
رماها مليكها بالنُّحاس فأصبحت   خرابا وأهلوها غدت أفقر الورى
وصارت ديار الذل من بعد عزها   ألا في سبيل الله يا مصر ما جرى
وقد قلت في عام النُّحاس مؤرخا   نُحاس كأحجار على مصر أمطرا

١٠٣٤ هـ

— ٢ —

بمصر كل إنسان   قد صار مسكين حيران
من كثرة الغم لما   رموا بها الزيف بهتان
زمانه أرخوه به   نُحاس وخسران

١٠٤٣ هـ

— ٣ —

بمصر حل تشويش   وتنكيد وأحزان
بري نحاس أرسله   لنا سلطاننا الآن
فأضحت مصر في وهج   وأهلوها بها انهانوا
رميته نؤرخها   بها نحس وخسران

١٠٤٣ هـ

والتاريخ في القطعة الأولى مغاير للتاريخ في القطعتين الأخيرتين والفرق قليل لا يتجاوز بضع سنوات . وربما كان سببه اختلاف الاعتبارات في حساب بعض الكلمات أو أن الحادثة تكررت ويكون السوء أصاب مصر مرتين أصابها سنة ٣٤ و ٤٣ وبينهما تسع سنوات وكلمة (نُحاس) مضبوطة بالشكل بضم النون وفتح الحاء غير المشددة . ومن معاني النحاس الدخان وبه فسر النحاس في آية (يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس) فهل كانت الكارثة التي نزلت بمصر في ذلك الزمن شيئاً من هذا القبيل ؟ بيد أن الشاعر قال (نُحاس كأحجار على مصر أمطرا) فجعل النحاس كالأحجار ، أو لعله يريد بالنحاس قنابل مدافع من نحاس محشوة بأحجار . وفي دار الكتب المصرية ست نسخ مخطوطة من كتاب التنور المذكور فقلت في نفسي لعل نسختي نقلها ناسخها من إحدى هذه النسخ فيكون خبر (النحاس كالأحجار) مثبتاً في آخرها فراجعتها فلم أجد أثراً فيها . وراجعنا بمعونة موظفي دار الكتب بعض كتب التاريخ التي وصلت في تدوين الحوادث إلى سنتي ١٠٣٤ و ١٠٤٣ فلم نجد بينها أثراً للخبر العجيب المذكور.

فنحن نروي لقراء الرسالة هذا الخبر على علاته ، ونصه على زلاته ، فلعل فيهم من يسعفنا باليقين من أمره فنكون له من الشاكرين .

عبد القادر المغربي
عضو المجمع

الأبيوردي

تساءل الأستاذ الجليل محمد إسعاف النشاشيبي في مقاله بعدد « الرسالة » الماضي عن « إرشاد الأريب » عند ذكر قصيدة الأبيوردي الماوي التي قالها عند استيلاء الفرنج على بيت المقدس سنة ٤٩٢ هـ تساءل في بعض حواشي المقال : هل نظم الأبيوردي القصيدة وهو صغير أم نظمها بعد ذلك التاريخ ، ويرجع تساؤل الأستاذ الجليل إلى اعتماده رواية ابن خلكان أنه مات سنة ٥٥٧ هـ وللاستاذ الجليل الحق في هذا التساؤل لأن المدة حينئذ بين نظم القصيدة وبين الوفاة هي خمس وستون سنة ... وأقول : — لعل الحق أن وفاته كانت سنة ٥٠٧ هـ لا سنة ٥٥٧ هـ كما في بغية الوعاة صفحة ١٦ والدليل الذي لا يتطرق إليه الشك على صحة

هذا التاريخ أن السيوطى ذكر نقلا عن السلفى أن الأبيوردى «أحضر عند السلطان أبى شجاع محمد بن ملك شاه تشخيصاً وهو على سرير ملكه فارتعد ووقع ميتاً وذلك يوم الخميس بين الظهر والعصر العشرين من شهر ربيع الأول سنة سبعة وخمسمائة» وإذا علمنا أن هذا السلطان توفى سنة ٥١١ هـ كما فى تاريخ آل سلجوق للعماد الأصفهانى صفحة ١٠٨ بين لنا وجه الحق فى وفاة الأبيوردى العظيم ...

جعفر محمد

الجانب الالهى من التفكير الاسلامي للدكتور محمد البهى

من الجوانب الفكرية التى لا تزال يتغشاها كثير من الضباب؛ ذلك الجانب الفلسفى من التراث الإسلامى ؛ ومبعث الاختلاف هو : هل هذا اللون من التفكير ؛ وليد العقلية الإسلامية ؛ وبين أحضانها درج ؛ وفى بيئتها شب وترعرع ؛ أم هو ربيب بيئة أخرى لا صلة لها بهذه البيئة ؛ وإن كانت تلك البيئة قد آوته فى كنفها حينا ؛ فطبعها بطابعه ؛ كما خلعت عليه هى أيضاً بعض شياتها ؛ فموقف المؤرخ لهذه الظاهرة العقلية الإسلامية ؛ موقف دقيق يحيط به الغموض ؛ ويحتاج إلى منطق متئد ، وفكر ثاقب ؛ حتى يتسنى له أن يرد كل فكرة إلى مصدرها ، وأن يحرص على أن يظل بمنأى عن التورط والانغماس فيما يلبس عليه المحجة ؛ ويجره إلى التحزب والمشايعة ؛ وقد استطاع الدكتور محمد البهى أن يحتفظ بموقفه بعيداً معتصما بكنف البحث العلمى الذى يرد عنه عوادى الأهواء ، ويقيه مزلة الانزلاق ؛ فخرج البحث عن أن يكون رواية للمشاكل الآلهية كما تركها المسلمون ؛ وصح أن يعد تاريخاً للتفكير الإسلامى الألهى ؛ يبين قيمة العمل العقلى للمسلمين فى الناحية الإلهية من حيث هو فى ذاته ؛ وأثره فى تطور العقيدة باعتبار أنها شىء قام على أسلوب الدين ؛ وعلى ما لطبيعته من خصائص . وهذا البحث يقع فى قسمين : الأول يصور الفكر الاسلامى فى مرحلة عزلته ، والقسم الآخر يصوره بعد اختلاطه بالثقافات الأخرى . فالمرحلة الأولى تتناول تاريخ الجانب الألهى من التفكير الإسلامى ؛ وهى مرحلة العزلة ؛ ويعنى بها ما كان تفكيرها عربياً محضاً لم يشتبك بعد فيها مع تفكير آخر غير عربى ؛ ثم يعرض لموضوع التفكير فى هذه المرحلة وهو — الله — فالله باعتبار ذاته ؛ وباعتبار علاقته كخالق للمخلوقات ؛ وباعتبار علاقته بالإنسان ؛ كان المحور الذى تركزت حوله الدعوة المحمدية كما عرفها القرآن ؛ وعوامل التفكير التى نلتمسها أولا وبالذات فى الخلاف والتصدع الذى طرأ على الجماعة الإسلامية بعد وفاة الرسول ؛ والمرحلة الثانية هى تدفق الثقافات الأجنبية فى القرن الثامن الهجرى ؛ ولهذه الثقافة غير الإسلامية مصدران : شرقى . وهو ما قام حول الديانات وخصوصا اليهودية والمسيحية وشروحها ؛ وغربى وهو الفلسفة الإغريقية . ثم تكلم المؤلف عن طريق الترجمة وأسبابها ؛ وسبب ترجمة المنطق ؛ والفلسفة الإلهية ؛ والأخلاقية والنفسية ؛ وأشهر الكتب المترجمة ؛ والكتب المزيفة ؛ ومقياس الصحيح والزائف ؛ وأسباب التزييف ؛ تناول كل هذا تناول الفاهم الملم ؛ الهاضم لموضوعه ؛ فسد ثغرة كانت لا تزال غير محكمة السد فى هذا الجانب الفلسفى من التفكير الإسلامى .

محمد عبد الحليم أبو زيد

تصويب :

جاء فى مقال (الدعوة إلى الخير) المنشور فى العدد ٦٥٦ من الرسالة بعض الأخطاء المطبعية ، نذكرها ونصححها فيما يلى :

(ا) لعن الله الذين كفروا من بنى إسرائيل — صوابها : لُعِن الذين كفروا ... الخ .

(ب) ومن شنئ الفاسقين وغضب الله — صوابها : وغضب لله

الخطيب



من ذكريات الشباب

اجترار

للأستاذ حبيب الزحلاوى

(تتمة)

تلبس القصة الواقعية ، فى بعض الحين ، ثياب الأسطورة الخرافية وتبذها فى الغرابة ، وكثيراً ما يحار العقل فى تحليل وقائعها فينسبها إلى المصادفة والإتفاق ، فإذا أعيته الحيل وعجز عن بلوغ الحقيقة المادية لجأ إلى القول بالقدرية والأسرار المجهولة ، وأخيراً يعترف اعتراف المستسلم بالعناية الإلهية وهى قدرة فوق طاقة العقل الأنسانى تحده عن إدراك الغاية الإلهية من صنع العجائب والخوارق والمعجزات

وحكايتى أيها الأصدقاء فيها الأعجوبة الخارقة ، والأسطورة الخرافية الحية ، والواقعة المادية

كنا عشرين رجلا ، منا الطبيب والجراح والمساعد والصيدلى فضلا عن الأتباع ، وكان عددهم يناهز الثمانين ، وقد انتحينا ناحية فى مؤخرة الجيش فى ميدان القتال اتخذناها مستشفى للاعمال الجراحية والإسعافات الطبية ، وكان كلما تقدم المحاربون من رجالنا تأتينا النقالات حاملة الجرحى فنضمد البسيط منها ونقطع الرأى فى الأمور الخطيرة التى تتطلب السرعة

تقدم جنودنا تقدماً محسوساً أدركنا مداه من الدوى الذى كان يصل إلى أسماعنا مخنوقاً خافتاً حتى حسبنا أننا انقطعنا عن الجيش لم نأبه لتقدم الجيش لأن حاملى المحفات لم يشكوا من طول الشقة الفاصلة بيننا وبينهم ، وبينما نحن فى مكاننا ذاك تستغرقنا أعمالنا ، إذا بالدوى قد عاد ، وإذا بصفير الرصاص وقرقعة القنابل وجلبة القتال كأنها استردت نشاطها الحى ، وأخذت المدافع تقصف وترعد وبدت كراتها تشق الفضاء وتمزقه تمزيقاً ولكنها كانت بجانب الإتجاه السوى

لفت نظر زميل طبيب الى تحول المعركة من الجبهة إلى الجناح فأجابنى إجابة تهكمية أسكتتنى ، كان زميلى المتهكم ذاك ، سبط القوام ، عريض الألواح ، بديناً يحسن السخرية والتندر . لقد أحس ذلك الزميل مبلغ ألمى من تهكمه فتقدم منى يلاطفنى ويطيب خاطرى

فى تلك اللحظة سقطت قذيفة بالقرب منا ، أقول سقطت ، لأن العجاجة التى أثارتها ، والرجال الذين تراكوا منا فانقلبوا على الأرض ، والحصى والحجارة والأتربة وقد عقدت سحابة داكنة فوقنا ، ثم تساقطت علينا جعلتنى أرجح سقوطها بالقرب منا

ألقيت جسمى بين يدى زميلى الطبيب البدين فاحتضننى كما تحتضن الأم ولدها ، ورأيتنى أتشبث به كصبى مقرور أو مرعوب انفجرت القذيفة بعيدة عنا ، ولم أكد أنحى وجهى عن صدر زميلى حتى رأيت محفات جرحانا تطير فى الفضاء وأحسست بجسمينا تحملهما عاصفة شيطانية كأنها خرجت علينا بغتة من أودية الجحيم ففقدت الوعى !!

لست أدرى كم كان عدد الساعات أو الدقائق التى رحت فيها فى غيبوبة أحسبها تماثل راحة الموت ... ولكنى تنبهت على معالجة إخراج وجهى من حمأة كادت تكتم أنفاسى

الحمأة لزجة كريهة الرائحة ، وجفونى مقفلة بإحكام ... أجفلت من نفسى ... حاولت التخلص مما أنا فيه لأتبين حالى على حقيقته فإذا ركبتاى لا تسعفانى بالنهوض وساعداى غريقان فى بركة من دم ولحم

دم ولحم ؟!! صورة مفزعة وثبت إلى ذهنى فكدت أجن ، أخذت أنزع يدى كأنى ملسوع ، رفعت أصابعى إلى جفونى ... رفعت أصابع ملطخة تنقذ جفوناً ملطخة ؟! حاولت مجتهداً الإبتعاد عن بركة أنا الغريق فيها ، لأنى ما كدت أنقلب على ظهرى حتى أحسست أنى أتوسد أرضاً مرملة ... استعنت بالرمل على تنظيف

يدى فكانتا تتلطخان من جديد ؟! هل هما مجروحتان ؟ لا أحس ألم جراح ولكننى أشم رائحة الدم ... عدت إلى أصابعى أمسحها بالرمل ، وإلى أهداب جفونى أغسلها بلعابى ، كنت حتى تلك الساعة أجهل أن الدم كريه الطعم كريه الرائحة ، ولكن لا مناص من إنقاذ جفونى من التصاق أهدابها حتى أرى على أى حال أنا وفى أى بقعة من الوجود أكون ، وهل من وسيلة إلى تضميد جراحى ؟ وهل هى تنزّ وتتفصد ، ولم يجل فى خاطرى أنى كنت ميتاً ولا فى حالة قريبة من الموت بل كانت دوافع الحياة تدفعنى إلى الكفاح للنجاة مما أنا فيه

انفتح جانب من طرف إحدى عينى فاندفع النور فيها أو كأن النور انبثق من هذا الجانب !!! حاولت الجلوس فإذا بركبتى تشعرانى بألم محتمل ، طأطأت رأسى وأخذت أفتح ثغرات أخرى فى أهدابى

ها أنذا أرى الحياة من جديد !!

شمس ساطعة ، وسماء صافية ، وصحراء هادئة ساجية ، كأن ليس عليها سوى أنا المهشم المجروح وهذه الجثة المهروسة التى كنت غريقاً فيها ، جثة مهروسة حقاً أنا هرستها بجسمى فأويت إلى أحشائها أتقى الموت فحملت عبئه وحدها وأنقذتنى ، جثة إنسان ضخم الجسم غرقت فيها من شدة ضغط القنبلة المعادية ولم تكن غير جثة زميلى الطبيب الفراح المزّاح

فى تلك اللحظة التى تبينت فيها جثة زميلى وتحققت أنه الميت وأنا الحى ، فى تلك اللحظة جمد ذهنى ، وركد تفكيرى ... كنت أنظر فلا أرى ، وأعى فكأنى لا أعى ! كانت صورة جثة زميلى المهروسة ماثلة أمامى ، أرى الأحشاء مندلقة بشكل تنفر منه العين وتتقزز منه النفس ، وأشم رائحة نتنة هى رائحة الإنسان !!

لازمنى ذهول مركز ، كنت أرى فرق الجيش تمر بى من بعيد ، وثاب الىّ رشدى ساعة أقبل رسل الإنسانية فحملونى على محفة إلى المستشفى .

* * *

ساد المجلس صمت ... أما أنا ، فلم أكد أهم بحكاية أخرى من وقائعى حتى شعرت كأن رفاق يستمهلوننى بل يستوقفوننى وقال لى أذلقهم لساناً ، عليك أنت أن تدون حكاياتنا ولا عليك أن تبتدع لنا حكايات ، يكفيك أنك ألهبت شعورنا الوطنى وإحساسنا القوى بما كنت تكتب وتنشر على زعم أنه مقتبس أو مستمد من أرواح الزعماء ، فالزعماء ، يا صاحبى أرواح لا يفهمها الشعب ، وإن ميعاد عظمة الزعيم رهينة بلبس ثياب الأسطورة ليصير خرافة لا حقيقة ، وفى مقدرته على إنارة هالة قدسية حوله تجعل الشعب يؤمن به ، فهو فى كل أمم الشرق مجموعة من شخوص متحركة يعرفها جيداً كل زعماء الشرق ، يعرفونها جيداً لأنها شخوص مثلهم تتحرك بدوافع غير منظورة لا يراها الشعب ولا يعرفها ... كلنا يا صاحبى ذلك المجتر ، شعب وزعماء !

حبيب الزحلاوى